دروس
الديانة والتهذيب

١٩١٠

للمدارس الابتدائيه

مقرر السنة الرابعة منقح على حسب ما رأته
نظارة المعارف العموميه

تأليف

مصطفى عنانى و عطية الاشقر
المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية
مساعد المفتش بالمعارف

أقر هذا الكتاب صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ سليم البشرى حفظه الله

(الطبعة الثانية) بالمطبعة الحسينية المصريه شوال سنة ١٣٣١ هـ

دروس

الديانة والتهذيب

١٩١٠

للمدارس الابتدائيه

مقرر السنة الرابعة منقح على حسب مارأته
نظارة المعارف العموميه

تأليف

مصطفى عنانى و عطية الاشقر

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية | مساعد المفتش بالمعارف

أقر هذا الكتاب صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ
الجامع الازهر الشيخ سليم البشرى حفظه الله

(الطبعة الثانية) بالمطبعة الحسينية المصريه شوال سنة ١٣٣١ هـ

(صورة ما كتبه صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ سليم البشرى تقريظا لكتاب دروس الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائيه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أكرم أهل الديانة بتهذيب الأخلاق . ومنحهم إقامة الدليل على أنه الواحد الأحد المحسن الخلاق . والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر الاسرار وأس الديانه . وعلى آله وأصحابه الذين نشروا الاخلاق الفاضلة وأدوا الامانه . وبعد فقد اطلعت على كتاب الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية صنيع حضرتى الاستاذين الفاضلين الجليلين الشيخ مصطفى عنانى والشيخ عطية الاشقر فوجدته من أنفع التآليف . وأحسن التصانيف . صحيح المبنى . صادق المعنى . جمع من المعارف ما تشتت مع سهولة العباره . وحسن الاشاره . فلله در مؤلفيه . كم أبدعا فيه رزقه الله الاقبال والقبول . انه أكرم مسئول ؟

٤ محرم سنة ١٣٢٩ — شيخ الجامع الازهر

٥ يناير سنة ١٩١١ — الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسوله وآله . وبعد فهذا مقرر السنة الرابعة من المدارس الابتدائية فى العقائد والعبادات والاخلاق على حسب آخر منهاج أقرته نظارة المعارف العمومية رأينا جمعه وطبعه رجاء الانتفاع به والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

عطية الاشقر * مصطفى عنانى

١٣٢٨ هـ

١٩١٠ م

العقائد

١ – سورة الاخلاص

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)

(التفسير)

الأحد ـ الواحد ـ الصمد المقصود ـ الكفو المماثل

قال الله تعالى ارشادا للناس الى مايجب أن يعتقدوه فى جانبه تعالى وجوابا عن سؤال الذين طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يصف لهم ربه

(قل هو الله أحد) أى الرب المسئول عنه هو الاله الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ـ واتصافه تعالى بالوحدانية أمر جاء به الشرع وأوجبه العقل. لانه لو تعددت الآلهة لتخالفت أفعالهم لتخالف علومهم وارادتهم، لان كل واحد منهم يقتضى كونه الها له السلطان التام على الايجاد والاعدام فى جميع الممكنات، وبديهى أن كلا منهم يتصرف على حسب علمه وارادته ولا مرجح لنفاذ مايريده أحدهم دون الآخر فتتضارب أفعالهم فيفسد نظام الكون. بل لا يكون له نظام. بل يستحيل وجود شئ من الاشياء (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) والفساد ممتنع بالمشاهدة فهو واحد لاشريك له

(الله الصمد) أى هو الذى يلتجئ اليه كل مخلوق ويقصده

فى جميع حاجاته : جليلها وحقيرها ، وهو الغنى عن كل ماسواه المفتقر اليه كل ماعداه ، وهو الذى يعين على الوصول الى المطالب وما سواه من الشفعاء والوسطاء ليس فى قدرتهم أن يصلوا الى شئ من ذلك . وهذا رد على مشركى العرب وغيرهم ممن كانوا يعبدون الاصنام ويعتقدون ان لرؤسائهم منزلة عند الله ينالون بها التوسط لغيرهم فى نيل مبتغياتهم فيلجئون اليهم أحياء أو أمواتا ويقومون بين أيديهم أوعند قبورهم خاضعين خاشعين ، فأبان الله لهم فى هذه الآية أن هؤلاء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا وأنه هو الذى يقصد فى كل أمر

(لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) تنزيه لله تعالى عن أن ينفصل منه أحد أو ينفصل هو عن أحد لان ذلك يستدعى الحدوث والفناء والله تعالى قديم باق . وتنزيه له أيضا عن أن يكون له شبيه أو نظير ، اذ لو كان له مماثل لتعددت الآلهة وقد علمت بطلان ذلك فهو واحد لاشبيه له

قررت هذه السورة جميع أصول التوحيد والتنزيه ونفت جميع أنواع الاشراك فبينت أنه تعالى واحد له النفوذ الشامل والتصرف العام ، لاشريك له فى ملكه . كما بينت أن كل الناس فى حاجة اليه وهو فى غنى عنهم ، ونفت عنه الشريك والمماثل والولد والوالد سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا

(٢ — آية الكرسى)

(اللّٰهُ لَاإِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَافِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ
عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

(التفسير)

الاله المعبود بحق ـ القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم ـ السنة النعاس ـ كرسيه علمه ـ يؤوده يعجزه

من هذه الآية الكريمة نعلم أن الله تعالى واحد لاشريك له في ملكه . وأنه المستحق لجميع أنواع العبادة دون سواه . وأنه حى دائم لايفنى . مدبر لخالقه له السلطان المطلق والتصرف التام في جميع المخلوقات . وأنه منزه عن صفات الاجسام فلا يغفل ولا يذهل ولا ينام . وأن السموات والارض وما بينهما وما فيهما خاضعة له وفي قبضة تصرفه . قد تفرد بالكبرياء والعظمة فلا يتأتى لاحد أن يدفع ماأراده او يرد ماقضاه بشفاعة او نحوها وان علمه تعالى محيط بكل شئ . لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر . وأنه سبحانه هو الحافظ لنظام العالم بقدرته الكاملة وعلمه المحيط لايعجزه ولا يشق عليه شئ وأنه تعالى متعال عن الاشباه والامثال منزه عن الانداد والاكفاء رفيع شانه عظيم سلطانه

(أثر هذه العقائد فى النفس)

ان من يعتقد هذه العقائد اعتقادا تاما تنبعث نفسه الى التصديق بالله تعالى والعمل بشريعته والوقوف عند حدودها ، وينشرح صدره لاتباع أوامره واجتناب نواهيه ولا يتصرف فى أى عمل من أعماله الا على مقتضى حكمه تعالى وارشاده كما أن ذلك يكون سببا فى انفصام عرى اتصاله بالاغيار فلا يلجأ لاحد سوى الله ولا يعتمد الا عليه . وذلك هو الايمان الكامل والصراط المستقيم الموصل الى السعادتين

(٣ — المأمورات والمنهيات)

قال الله تعالى (وَمَا ءاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

خلق الله الانسان ليعبده ويقدسه ، وليعمل لسعادة نفسه ونوعه وبين له على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام طريق الخير والسعادة ، وسبيل الشر والشقاء : فطريق السعادة أن يأخذ ماجاء به الرسول ويأتمر بأوامره وينتهى عن نواهيه وطريق الشر مخالفته وعدم العمل بشريعته — والاوامر والنواهى التى جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يقال لها شرع او شريعة وكلها مبنية على مصالح العباد ومنفعتهم فضلا من الله ونعمة — لم يأمر الشرع بأمر الا وفيه مصلحة ومنفعة. ولم ينه عن شئ الا وفيه مفسدة ومضرة غير أن العقول متفاوتة فى ادراك المنافع والمضار وأسرار الشرع وحكمه فمن

الحكم مايفهمه العامة والخاصة ومنها مالا يعلمه الا الله والراسخون في العلم . فما على المرء الا أن يتبع أحكام الشرع ويحاول فهم أسرارها بقدر مايصل اليه فكره (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)

(أنواع المأمورات والمنهيات)

أنواع المأمورات ثلاثة فرض وواجب وسنة

فالفرض مايثاب على فعله ويعاقب على تركه ـ ومنه فرض عين ، وهو ماخوطب به كل مكلف بذاته كالصلاة والصوم ـ وفرض كفاية ، وهو ماإذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين ـ كرد السلام وصلاة الجنازة

والواجب مايثاب على فعله ويعاقب على تركه عقابا أخف من عقاب ترك الفرض كصلاة الوتر

والسنة ثلاثة أقسام (١) سنة مؤكدة كصلاة الجماعة وحكمها الثواب على الفعل والعتاب على الترك (٢) سنة غير مؤكدة كتثليث الغسل في الوضوء، وحكمها الثواب على الفعل ولا شيء في الترك (٣) مندوب ويسمى نفلا ومستحبا وتطوعا كالاتيان بالشهادتين بعد الوضوء ،وحكمه الثواب على الفعل ولا شيء في الترك . والفرق بين هذا وسابقه أن الاول تركه النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا بلا عذر والثاني فعله مرة أو مرتين ولم يواظب عليه

وأنواع المنهيات المحرم والمكروه

فالمحرم مايثاب على تركه للامتثال ويعاقب على فعله كشرب

الخمر والسرقة . والمكروه قسمان مكروه تحريما، يثاب على تركه ويعاقب على فعله بأخف من عقاب المحرّم كالاسراف فى الماء حين الوضوء ومكروه تنزيها يثاب على تركه ولا عقاب فى فعله كضرب الوجه بالماء فى الوضوء . وما عدا المأمورات والمنهيات فمباح: وهو مايخير الانسان بين فعله وتركه كالتمتع بالاشياء المباحة من أكل وشرب وزينة

فكل فعل من أفعال المكلف اما أن يكون فرضا أو واجبا أو سنة أو محرما أو مكروها او مباحا وهذه الاحكام يقال لها الاحكام الشرعية أو علم الفقه

(مأخذ علم الفقه)

مأخذ هذا العلم الكتاب والسنة والاجماع والقياس

فالكتاب هو القرءان الكريم . والسنة ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل أو تقرير . والاجماع هو اتفاق مجتهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور على حكم شرعى . والقياس اثبات حكم شئ لشئ آخر لتشابههما فى علة الحكم مثل تحريم (المشروب المسكر) بالقياس على الخمر لاشتراكهما فى علة الحكم وهى الاسكار

(٤ — القتل)

القتل رأس الخطايا وأس الخراب، يهدم صروح المدنية ويدك أطوادها . تقشعر منه الجلود وتنخلع من هوله القلوب . وهو دليل على جمود القلب وقسوته . به تتيتم الاولاد وتتأيم النساء

ويضطرب الامن . ما فشا فى أمة الا ذهبت الثقة من بين أفرادها وطمع فيها عدوها وقل ناصرها واستولى عليها من لا يرحمها

القاتل عاص لله سبحانه وتعالى ، خائن لبلاده ووطنه الذى يعز بعزه و يذل بذله ، ساع فى اضمحلال العالم وفناء الخلق ، معرّض نفسه للاعدام و بنيه لليتم والانتقام . فمن قتل يقتل . ومن أقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل واحد لان كل انسان يدلى من الكرامة والحرمة بما يدلى به الآخر فقاتل النفس الواحدة كقاتل الناس جميعا ولذلك كان اثمه شنيعا وعذابه أليما . فيجب على من علم بعزم انسان على قتل آخر أن يمنعه من تنفيذ عزمه كما يمنعه عن نفسه . للمقتول أولياء وأقارب يطالبون بدمه ولا يهدأ بالهم الا اذا اقتصوا من القاتل ، والحكومة تعمل جهدها فى الاقتصاص من الجانى لتحافظ على حياة افرادها (ولكم فى القصاص حياة) — يقال ان بعض أولى الامر حكم على رجل قد سرق شاة بالحبس وقال له : انى ماحبستك لانك سرقت الشاة وانما حبستك محافظة على باقى الشياه . ولقد اتفقت جميع الكتب السماوية على معاقبة القاتل فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بعذاب النار . وقد نهى الله عنه فى القرءان الكريم فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) . وفى الحديث (اجتنبوا السبع الموبقات(١) قالوا يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا

(١) المهلكات

بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) فأى عاقل يقدم على القتل ويرضى لنفسه الهلاك فى الدنيا والعذاب الاليم فى الآخرة؟ هذا أمر لا يرضاه انسان ولو كان غير معتقد للاديان

(٥ – الربا)

الربا من الاشياء التى عم ضررها وتفاقم خطرها وكثر التعامل بها حتى تنوسى تحريمها . أنكر قوم من مشركى العرب تحريم الربا وقاسوه على البيع فقالوا (انما البيع مثل الربا) يريدون بذلك أنه كما يجوز للانسان أن يبيع السلعة التى ثمنها عشرة دراهم نقدا بخمسة عشر درهما الى أجل يجوز له ان يعطى عشرة دراهم لآخر ليردها اليه بعد سنة مثلا ثلاثة عشر درهما فنفى الله هذه المماثلة بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) والله تعالى لا يحل الا مافيه المصلحة ولا يحرم الا ماهو محقق الضرر فأحل البيع لانه يلاحظ فيه دائما انتفاع المشترى بالسلعة انتفاعا حقيقيا ومقابلة الثمن للمبيع مقابلة مرضية للبائع والمشترى باختيارهما فيذهب كل منهما فرحا بما أخذ شاكرا صاحبه الذى أناله مقصده ، وحرم الربا لان مايؤخذ فيه من الزيادة لامقابل له وهى لا تعطى بالرضا والاختيار بل بالكره والاضطرار * حرم الربا لانه يمنع المرابى عن العمل اعتمادا على ما يكتسبه بنقوده وهو جالس فى مكانه ولا يتحمل مشقة الاشتغال بمنابع الثروة الأصلية الزراعة والتجارة والصناعة * حرم الربا لأنه يحصر الثروة فى افراد معدودين ويقطع حبل التراحم والعطف بين الناس فلا يقرض شخص أخاه

ولا يعطيه ماله بدون زيادة عليه . فيبغض المحتاج الغني وتتولد العداوة والشحناء . وقد حفظ المسلمون أنفسهم من هذه الرذيلة زمنا طويلا الا أنه من زمن غير بعيد فشت بينهم المراباة فشوًا كاد يقضى على ثروتهم حتى انك لاتجد متمولا من المصريين سالما من الربا الا نادرا فتضاعفت المصائب : مصائب التعامل بالربا واحتكار الاجانب الاموال . و ياليتهم أنفقوا ما أخذوه بالربا فيما يفيدهم أو وقفوا عند الضرورة للاستدانة حتى يقال (الضرورات تبيح المحظورات) ولكنهم ينفقونها فى صنوف البذخ والرياء ويستدينون لداع ولغير داع حتى بساء الحال . ولو انا اتبعنا الدين لحفظنا أموالنا وبقينا لانفسنا . وقد نهى الله عن الربا وبين عقوباته أحسن بيان ونص على أن مصيره المحو والزوال فقال (يمحق الله الربا) ونص على أن صاحبه مخلد فى النار فقال (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولو تأملت البيوت التى تعامل أهلها بالربا وما آلت اليه من الخراب لكان فى ذلك أعظم زاجر

واأسفاه قست القلوب وعميت البصائر فصارت لاتؤثر فيها الزواجر ولا تنفعها العبر . يرى الناس الثروة تغيض ، والبيوت تغلق والاغنياء تفتقر ، ويتحققون الاسباب ولكنهم عن ذلك الخطر لا يبتعدون فلا حول ولا قوة الا بالله

(٦ — السرقة)

(والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

التفسير

النكال العقاب — العزيز الغالب القوى — الحكيم الذى يضع الاشياء في محالها

السرقة أخذ الشخص مال غيره خفية من غير حق . وهى من دلائل الخسة والدناءة وعلامات الجبن والنذالة، تأباها النفوس العالية وتحاماها الايدى الطاهرة، ويستقبحها الشرع والعقل . ألم يفكر ذلك السارق أنه مهما اجتهد فى اخفاء حاله وستر عمله فلا يخفى على الله أمره ولا بد من جزائه وعقابه

السارق معرض لانتقام صاحب المال وعداوة الناس وعقوبة الحكومة وعذاب الله تعالى . والمال الذى يسرقه حرام لا بركة فيه يذهب من حيث أتى — سرق رجل حصانا وذهب ليبيعه فقابله رجل وساومه الشراء وركب الحصان ليختبره وفرّ به الى حيث شاء فرجع اللص حزينا كئيبا ولم يكتسب غير الاثم والخيبة .

السرقة كغيرها من الخصال الذميمة يجب التباعد عنها والاحتراس من الوقوع فيها ولو فى أصغر الأشياء فلا تستسهل سرقة ورقة أو قلم من جارك أو أخذ شئ حقير لأبيك أو أخيك أو أصدق الناس اليك فان هذا يجر الى ماهو أكبر منه بحكم العادة

فصغار الامور تولد كبارها

سطا لص على بيت فاستيقظ أصحابه وحصلت بينهم وبينه معركة قتل فيها أحد أصحاب البيت ثم ضبط اللص وسيق الى المحاكمة فحكم عليه بالشنق . وعند ما أريد اعدامه أحضرت اليه أسرته لتراه فاستدعى من بينهم واحدة وطلب منها أن يقبل لسانها فأخرجته فانقض عليه وقطعه ولما سئل عن السبب قال انى سرقت فى صغرى بيضة من دار جارنا فأتيت اليها بها فقبلت ما بين عينى فرحا بما فعلت فاسترسلت فى السرقة حتى وقعت فيما ترون ولو انها نهتنى عنها فى مبدأ أمرى ماشنقت اليوم — عدت الشريعة الاسلامية السرقة من الكبائر وجعلت عقوبتها ان تقطع يد السارق حتى لا تتأتى له السرقة بها مرة ثانية . ولا تقطع يده الا بشروط مخصوصة أما اذا لم توجد تلك الشروط فان القاضى يقدر من العقوبة ما يراه زاجرا له فى الدنيا والله تعالى يتولى عقوبته فى الآخرة بما يقتضيه عدله وحكمته

(٧ — الخمر والميسر)

قال الله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)

(التفسير)

الخمر ــ كل مسكر سواء كان من عصير العنب أو من نبيذ التمر أو من الحنطة أو الشعير أو غير ذلك وفي الحديث (كل مسكر خمر وكل خمر حرام)

الميسر — القمار وكل أنواعه محرمة الا ماأباحه الشرع من الرهان في السباق والرماية ترغيبا فيهما

والأنصاب ــ حجارة كانت تقام حول الكعبة وتعبد من دون الله تعالى

والازلام ــ هي القداح التي كانوا يستقسمون بها

(رجس) ــ قذر تعافه العقول الراقية والنفوس الطاهرة

(من عمل الشيطان) ــ من تحسينه وتزيينه

كيفية القمار عند العرب ــ كان لهم عشرة أقداح يقال لها الأقلام وأسماؤها الفذ والتوءم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والوغد والسفيح والمنيح • ولكل واحد من السبعة الاولى نصيب معلوم من جزور ينحرونه ويجزئونه ثمانية وعشرين جزءا فللفذ سهم وللتوءم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وهو أعلاها وليس للثلاثة الأخيرة شيء فاذا أرادوا الميسر اشتروا جزورا نسيئة ونحروها وقسموها ووضعوا القداح في خريطة ثم يجيلها عدل ويدخل يده فيخرج منها واحدا باسم رجل منهم ثم آخر

باسم آخر وهكذا فمن خرج لهم القداح ذوات الأنصباء أخذوا نصيبهم ومن خرج لهم القداح التي لانصيب لها لم يأخـذوا شيئا وغرموا ثمن الجزور كله والغالب انهم كانوا يدفعون تلك الأنصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويعدّون ذلك فخرا

كيفية الاستقسام بالازلام

من عادات العرب انهم اذا أرادوا سفرا أو نحوه أجالوا عند اصنامهم ثلاثة قداح مكتوب على أحدها افعل وعلى الثاني لاتفعل والثالث غفل لاشيء فيه فاذا خرج الأول أقدموا على العمل وان خرج الثاني احجموا عنه وان خرج الغفل أعادوا الاستقسام

هـذه الاشياء الاربعة المذكورة في الآية أعمال قبيحة يحسنها الشيطان للناس ولا يرضى بها الله تعالى بل يعاقب عليها ويأمر عباده بتركها لينجحوا دنيا وأخرى . أما عبادة الأصنام فهي اشراك بالله تعالى وهو الذنب العظيم الذي لايغفر ـ والاستقسام بالازلام طلب للغيب الذي اختص الله تعالى به ـ وأما الخمر والميسر فقد بين الله سبحانه علة النهي عنهما فقال

(انمـا يريد ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) أى بسبب تعاطيهما (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) يمنعكم ويصرفكم عن عبادة الله سبحانه . واذا كان هذا شأنهما فيجب ان تنتهوا عنهما ولا تقربوهما

(مضار الخمر)

الخمر متلفة للجسم ، مذهبة للمال ، مغضبة للرب ، جالبة للعداوة والبغضاء ، مضعفة للنسل ، مفسدة للعقل ، مذيعة للسر . لها من سيئ الآثار ووخيم العواقب ماتقشعر منه الابدان وتتفتت له الاكباد — اتفق الاطباء على ان الخمر تؤثر فى الكلى فتتلفها وفى الكبد فتمزقها وفى المعدة فتضعفها . لايمر على مدمنى الخمر زمن طويل حتى يتسرب اليهم السلال فيذهب بأرواحهم . وقد قيل ان نصف الوفيات فى أوربا من ذلك الداء الوبيل . وقال أحد أطباء المانيا (اقفلوا الى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والسجون)

من مضار الخمر فى التعامل وقوع النزاع والخصام بين السكارى بعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاملهم وهذا من أكبر العلل لتحريمها . ومنها افشاء السر وناهيك بما يتولد عنه من المضرات الكثيرة ولا سيما السر الذى يتعلق بالحكومات او بالامور الهامة ولا شك أن ذلك يكون سببا لفقد الثقة بالشخص وعدم الاهتمام بأمره . ومنها الاحتقار وذهاب الهيبة والوقار من أعين الناس فان السكران يكون فى هيئته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستهزئ به ويستخف به كل من يراه حتى الصبيان لانه يكون أقل منهم عقلا

مر ابن ابى الدنيا بسكران فوجده على حالة يرثى لها : يبول فى يده ويمسح بها وجهه كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا . فانظر كيف تفعل الخمر بالعقل وكيف تجعل الانسان عرضة للهزء والسخرية .

الخمر ـ تجرئ على رتكاب جميع المعاصى لانها تخرج الانسان عن العقل فيفعل فعل البهيم ولذا سميت أم الخبائث. قال ابن الوردى

واهجر الخمرة ان كنت فتى * كيف يسعى فى جنون من عقل

الخمر ـ تذهب الثروة، وتهلك الأموال، وتوصل الى الفقر المدقع والخراب العاجل من أقرب الطرق . ولقد حرم الخمر فى الجاهلية اناس على أنفسهم منهم العباس بن مرداس قيل له ألا تشرب الخمر فقال ما أنا بآخذ الجهل بيدى فأدخله جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد القوم وأمسى سفيههم

ولقد ألفت جمعيات فى أوربة وأمريكا للسعى فى ابطال المسكرات فتعاهدوا على عدم شربها وعلى الدعوة الى ذلك والسعى لدى الحكومات فى التشديد على بائعى الخمور . وكلما تقدمت الامم وارتقت أيدت ماجاء به القرءان الكريم

(مضار القمار)

القمار أن تغالب شخصا على مال فان غلبته أخذته منه وان غلبك أخذه منك . وهو محرم حتى لعب الصبيان بالجوز واللوز . والمقامرة على المليم تجر الى المقامرة على الجنيه ثم على المئات والالوف . القمار يورث العداوة والبغضاء بين لاعبيه لأن المغلوب الذى يخسر ماله يكون غير راض البتة على من أخذه منه فيحنق عليه ويجتهد فى فتح باب المنازعة معه والغالب يمنعه الطمع من أن يرد عليه ماأخذه فتثور الشحناء وتربو العداوة والبغضاء . القمار طريق لأكل أموال الناس بالباطل أى بغير عوض حقيقى وهو محرم بنص القرءان الكريم

(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)، ماتغلب القمار على شخص الا أذاقه ذل الفقر وألبسه ثوب الهوان. ان كسب مرة خسر مرات وان ربح قرشا أضاع قروشا، يطمع الشيطان الخاسر فى تعويض خسارته ويغرى الرابح بمضاعفة ربحه فيستمر كل فى ميدان اللعب حتى تلصق يده بالتراب — كم خرب القمار من بيوت، وأوقع ذوى اليسار فى عسر ممقوت، كم أفسد أخلاق الشبان وحط منزلة الشيوخ وسبب فضيحة البيوت وقضى على مستقبل أسر نشأت فى الترف والعز، وانحصرت ثروتها فى رجال أضاعوها فى ليلة واحدة فأمست لاقدرة لها على أن تعيش على ماتعودته من الرفاهية — القمار يفسد التربية ويلهى عن العمل لانه يعوّد النفس الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية وترك منابع الثروة الحقيقية فيقفل باب الاكتساب ويقف دولاب الاعمال التى عليها مدار حياة الغنى والفقير، والعظيم والحقير. يتوهم المقامر أنه يكسب بقرشه جنيها ويبنى على وهمه الفاسد بناء شامخا فلا يلبث أن يتبين له خطؤه حيث يفر منه درهمه وديناره ولا يستطيع الى ردهما سبيلا. منفعة القمار وهمية ومضراته حقيقية ولا يقدم عليه الا فاسد الرأى ضعيف العقل. انتهى الامر بكثير من المقامرين الى قتل أنفسهم غما وحزنا أو الرضا بعيشة الذل والمهانة — حكى بعض الثقات أنه كان يعرف رجلا لاتقل ثروته عن ثلاثة ملايين من الفرنكات فما زال شيطان القمار يغريه حتى فقد ثروته كلها وعاش بقية حياته فقيرا معدما حتى مات جائعا، وأنه ربح فى ليلة تسعمائة ألف فرنك فقال لاأبرح حتى أتمها مليونا فلم يبرح حتى خسرها وخسر مليونا آخر، وهكذا

شأن أكثر المقامرين: يغترون بالربح الذى يكون لهم أو لغيرهم أحيانا فيسترسلون فى المقامرة حتى لا يبقى لهم شئ — رأى بعض العقلاء من ولده ميلا الى المقامرة فقال له يابنى اذا شئت أن تقامر فابحث عن أقدم مقامر فى البلد والعب معه فأخذ الولد يبحث حتى انتهى به البحث الى شيخ رث الثياب ظاهر الاكتئاب فتبين له من حاله ومقاله ماصرفه عن القمار وعرف انه عمل مآله الخراب والدمار فلم يقامر بعد ولم يشهد للقمار مجلسا . قلما يقدر المقامر على ترك القمار فانه كلما ربح طمع فى الزيادة وكلما خسر طمع فى تعويض الخسارة فتضعف قواه عن مقاومة هذا الطمع — ومن أمثال المقامرين (شاهد القمار لا بد أن يصير لاعبا) (من لعب مرة لا يرجعه عن اللعب الا الفقر) (المقامرة لجة يغرق الغائص فيها لا محاله) . فالعاقل يتباعد عن مشاهدته ولا يقرب له مجلسا حتى لا يكون لشيطانه عليه سبيل (فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه)

(٨ — أكل الميتة ولحم الخنزير)

قال الله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَاذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ)

(التفسير)

الميتة هي ما فارقتها الروح من غير ذبح ــ الدم هو السائل الاحمر الذى ينفصل من الجسم ــ الخنزير ــ هو الحيوان المعروف وليس المراد اللحم فقط بل المراد جميع أجزائه وخص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل ــ وما اهل لغير الله به ــ أى ذكر غير اسمه تعالى عند ذبحه ــ المنخنقة ــ التى خنقت أو انخنقت حتى ماتت ــ الموقوذة ــ التى ضربت بعصا أو حجر أو نحوهما فماتت ــ المتردية ــ التى وقعت من جبل أو في بئر أو نحوها فماتت ــ النطيحة ــ التى نطحها غيرها فماتت ــ ما ذكيتم ــ ذبحتم ــ النصب ــ الانصاب ــ الازلام ــ القداح وقد تقدم شرحها ــ فسق ــ ذنب عظيم وخروج عن طاعة الله تعالى

(حكمة تحريم أكل هذه الاشياء)

انما حرمت الميتة لما فى الطباع السليمة من استقذارها ولما يتوقع من ضررها فانها اما أن تكون ماتت بمرض سابق أو بعلة عارضة وكلاهما لا يؤمن ضرره لان المرض قد يكون معديا والموت الفجائى قد يقتضى بقاء بعض مايضر فى الجسم كالكربون الذى يكون سبب الاختناق ــ وحرم الدم لانه قذر ضار كالميتة ومثلهما المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ــ وأما تحريم لحم الخنزير فلقذارته لان غذاءه من القاذورات والنجاسات ولانه مسبب للدودة الوحيدة وهى مرض قتال . وأكله ضار فى جميع الاقاليم وقد ثبت ذلك بشهادة الاطباء وبالتجربة وهى أصدق

شاهد . وأما تحريم مالم يذكر اسم الله عليه خاصة فلان الذى من بالحيوان وأرشد الى الانتفاع به هو الله سبحانه وتعالى فذكر اسم غيره عند ذبحه اشراك وهو من أعمال الوثنية . وقد ذكر الفقهاء أن كل ماذكر عليه اسم غير الله فقط أوكان مصحوبا باسمه تعالى فهو محرم . ومنه مايجرى فى الارياف كثيرا ولا سيما عند ذبح الحيوان المنذور وهو قولهم باسم الله الله أكبر ياسيد يزعمون أن السيد البدوى يلتفت اليهم ويتقبل منهم النذر (١)

(٩ — أكل أموال الناس بالباطل)

قال الله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

(فوائد) (١) الذبح الشرعى يحل مأكول اللحم ويجوز الانتفاع بغيره الا الخنزير فانه لايجوز الانتفاع به لنجاسة عينه (٢) يشترط لصحة الذبح أن يكون الذابح ذا دين سماوى مسلما أو كتابيا وأن تعلم حياة المذبوح عند الذبح والا يتعمد الذابح ترك اسم الله تعالى والا يذكر مع اسمه تعالى غيره (٣) لاذكاة للسمك فيحل اكله من غير ذكاة

(التفسير)

المراد بالا كل هنا الأخذ وعبر عنه بالأكل الذى غايته الافناء لا الانماء لأنه المقصود منه غالبا ـ الادلاء بالشيء الالقاء به ـ والمراد بالاثم هنا شهادة الزور واليمين الكاذبة والرشوة وغير ذلك مما يوصل الى الحصول على المال بغير حق

كل مال أخذته من غيرك بلا وجه شرعى فقد أكلته بالباطل ومن طرق ذلك الربا والقمار والسرقة والخيانة وشهادة الزور واليمين الكاذبة والرشوة والغش فى البيع والشراء وفى الكيل والميزان وتسخير الناس فى الاعمال وكتابة التمائم والعزائم والكهانة والسحر وما شاكل ذلك وهذا كله داخل تحت قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ومنها أن تدفع الى حاكم رشوة ليحكم لك بما ليس لك فيه حق كما دل عليه قوله تعالى (وتدلوا بها الى الحكام) وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وانه يأتينى الخصم فلعل بعضكم ان يكون أبلغ من بعض فاحسب انه صدق فأقضى له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها . من يأكل مال غيره بالباطل فهو عرضة لان يأكل غيره ماله

وما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بأظلم

ولقد تفنن الناس فى أكل الاموال بالباطل حتى صار كل انسان مع أخيه (كالذئب يأكل حين الغرة الذيبا) فعظم الخطب وعم

البلاء . ولو سلك الناس سبيل الهـدى فاتبعوا الشرع وأكلوا من الطيبات وتعففوا عن أكل الحرام لطاب عيشهم وأمنوا على أموالهم وانتظم أمرهم ولقد كان السلف الصالح يتحرون أكل الحـلال كل التحرى معتقدين أن أكل الحرام مفسد للدين مناف للايمـان . جاء في الحـديث مامعناه أن من نبت لحمـه من سحت فالنار أولى به (والسحت الحرام) * وقال سفيان الثورى رضى الله عنـه من أنفق الحرام فى الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول * وقال أحد الصالحين اذا تعبد الشاب قال الشـيطان لاعوانه انظروا من أين مطعمه فان كان مطعمه سوءا يقول دعوه يتعب ويجتهد فقد كفا كم نفسه : لان اجتهاده مع أكله الحرام لا ينفعه * فليتق كل مال أخيـه وليتجنب الباطل فى قوله وعمله وكسبه ليكون حلالا مباركا فيه مثابا عليه

(١٠ — العدل والاحسان)

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)

(التفسير)

أمرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بثلاثة أشياء ونهانا عن ثلاثة ، أمرنا بالعدل، وهو التسوية فى الحقوق وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه والاعتدال فى كل شيء ، وبالاحسان، وهو الاتيان بالطاعات على أكمل وجه

وبايتاء ذى القربى أى اعطاء الاقارب حقوقهم من الصلة والبر • ونهانا عن الفحشاء والمراد بها الذنوب المفرطة في القبح • وعن المنكر وهو ماينكره الشرع والعقل لقبحه وضرره • وعن البغى وهو الاستعلاء على الناس والتطاول عليهم بالجور والظلم

فى هذه الآية مالو عمل به الانسان لسعد فى دنياه وآخرته فان المرء اذا كان عادلا محسنا قائما بما يجب عليه لاقاربه ، مجتنبا مانهى عنه الشرع وانكره ، متباعدا عن ظلم الناس والتعدى عليهم أمن من تعدى الناس عليه وامن سخط الله تعالى وشديد عقابه وكان له جزاء العاملين المحسنين —

ولما كانت هذه الاشياء ملاك النظام واساس السعادة عقبها سبحانه وتعالى بقوله «يعظكم لعلكم تذكرون» أى ينبهكم عما يأمر وينهى أحسن تنبيه لتتعظوا وتتنبهوا وتعملوا بأوامره وتتجنبوا نواهيه فتفلحوا وتفوزوا بالسعادتين

(العدل والاحسان فى عمل الانسان)

« ومعاملته للناس »

العدل والاحسان يكونان فى عمل الانسان خاصة وفى معاملته غيره من الانسان والحيوان . فعدل الانسان فى نفسه أن يؤدى الواجب عليه كما ينبغى . واحسانه أن يتقن تأدية ذلك الواجب ويزيد عليه الزيادة النافعة فيصلى الفرض ويتبعه النفل، وينجز الاعمال التى عليها مدار حياته ويزيد عليها الاخلاص وحسن الأداء — سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » - وعدله مع أهله أن يقوم بما يجب عليه من حقوق الرياسة ان كان رئيس أسرته أو البنوة ان كان ابنا أو الاخوة ان كان أخا - واحسانه اليهم الشفقة عليهم والرأفة بهم وحسن معاشرتهم والعفو عن زلاتهم وتجنب الغلظة والفظاظة فى معاملتهم - رأى أحد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن بن على فقال ان لى عشرة أولاد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه السلام « ان من لا يرحم لا يرحم » - ودخل على أمير المؤمنين عمر أحد عماله فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله فأنكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك. فقال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم -

وعدله مع خدمه أن يدفع اليهم أجورهم تامة فى أوقاتها ولا يكلفهم من العمل فوق طاقتهم . واحسانه اليهم العفو عن زلاتهم ومعاملتهم بالشفقة والرأفة والحلم . قيل للاحنف بن قيس (وهو ممن يضرب بهم المثل فى الحلم) ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذ أتته جارية بسفود (١) عليه شواء (٢) فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال لا يسكن روعها (٣) الا العتق فقال أنت حرة لا بأس عليك - ووقف غلام لجعفر الصادق يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش

---

(١) الحديدة التى يشوى عليها اللحم (٢) لحم مشوى (٣) خوفها

فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يامولاى والكاظمين الغيظ ، قال كظمت غيظى ، قال والعافين عن الناس ، قال قد عفوت عنك ، قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ــ وعدل الانسان مع قومه وجيرانه أن يقوم بحقوق الجوار كما أوجبها الشارع ، واحسانه اليهم ان يصل من قطعه منهم ويعطى من حرمه ويحب لهم مايحب لنفسه ــ شكا بعض الصالحين كثرة الفئران فى داره فقيل له لو اقتنيت هرا لذهب ذلك فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحبه لنفسى . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها فقال لاخير فيها هى من أهل النار ــ وعدل الانسان مع بقية الناس تأدية حقوقهم واجتناب أذاهم : واحسانه اليهم أن يخالقهم بخلق حسن ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم وأن يتعهدهم بخيره ويساعدهم بما فى استطاعته .

خرج سيدنا عمر رضى الله عنه ذات ليلة ليتفقد أحوال رعيته فرأى امرأة توقد تحت قدر وأطفالها حولها يبكون فسألها ماسبب بكائهم؟ فقالت الجوع . فقال وما فى القدر ؟ قالت ماء وحصى أشاغلهم به حتى يناموا فرجع وحمل على ظهره دقيقاً وسمنا وعاد الى المرأة فألقى فى القدر بعضا من السمن والدقيق وأوقد عليها حتى نضج الطعام فأكل الاولاد وشبعوا ثم لاعبهم حتى ضحكوا وناموا ثم عاد الى بيته وعين للمرأة وأولادها مايكفيهم .

(العدل والاحسان في معاملة الحيوان)

ميز الله الانسان عن سائر الحيوان بفضيلتي العقل والبيان ، وسخر له الحيوان الاعجم ليركبه ويحمله أثقاله ويتخذ منه قوته وملابسه وأغطيته وفرشه وأثاثه . وكما جعل له هذا جعل له سلطانا على الطيور في جو السماء وعلى الاسماك في جوف البحار يصطاد منها وينتفع بها في حاجاته وكمالياته * هذه الحيوانات الكثيرة النفع العاجزة عن حماية نفسها وعن البيان عن حاجتها تتألم من الجوع والعطش ومن الحر والبرد ومن العمل الشاق كما يتألم الانسان . لهذا أوجب الله سبحانه وتعالى علينا العدل والاحسان اليها بأن نرفق بها ونشفق عليها ونعطيها حظها من المآكل والمشارب والمنازل ونداوي مرضاها ونربي صغارها ونتعهدها بكل مايلزم لها من المؤونة والخدمة ولا نحملها فوق طاقتها ولا نغير خلقها بقطع شيء من أعضائها كالذنب والأذن ففي الحديث (من مثل بحيوان فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) والتمثيل تغيير خلقها بقطع شيء من أجزائها — روى أن الزمخشري أحد كبار العلماء كان قد أخذ في صغره عصفورا وربط برجله خيطا طويلا وصار يلعب به فرأته أمه فرق قلبها لهذا العصفور المسكين وأدركتها الشفقة عليه فطلبت من ابنها أن يطلقه فلم يفعل وصار العصفور يطير من محل الى محل وهو يجذبه بالخيط حتى انقطعت رجله فاغتاظت أمه ودعت عليه بقطع رجله كما قطع رجل العصفور فلما كبر سافر الى بعض البلاد الباردة فأصاب رجله شدة البرد من كثرة الثلج فتلفت وقطعت . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها

فشرب ثم خرج فاذا كلب يلهث (١) يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب فشكر الله له وغفر له . ومن العدل والاحسان بالحيوان أن لا يقتل الانسان منه الا ماأباح الشرع قتله لكونه مؤذيا كالثعبان والعقرب والفأرة والكلب العقور والغراب

وأن لا يعذبه أثناء قتله أو ذبحه ففى الحديث (ان الله عز وجل كتب الاحسان على كل شئ فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته (٢) وليرح ذبيحته) وقد حثت جميع الشرائع والاديان على الرفق بالحيوان . وأسست الامم الراقية جمعيات للرفق بها تعالج مرضاها وتعاقب من يكلفها فوق طاقتها أو يعذبها بالضرب او بالجوع أو العطش او ماشاكل ذلك ولقد أسست الحكومة المصرية جمعية لهذا الغرض انتشرت فروعها فى حواضر المديريات . فعلى العاقل ان يرفق بها ويعاملها أحسن معاملة لاخوفا من عقوبة الحكومة بل امتثالا لامر الله تعالى وأملا فى رحمته فان من يرحم يرحم

(البغى)

البغى الاعتداء على الناس بالجور والظلم بلا مسوغ شرعى وهو يكون بقتل النفوس وهتك الاعراض واتلاف الاموال وتخريب الديار وغير ذلك مما يسلب الامن ويوهى دعائمه وينشر

---

(١) يخرج لسانه من العطش (٢) سكينته

جرائم الفساد فى كل بقعة وقد حرمه الله تعالى فى جميع الشرائع لانه مفسد للمجتمع الانسانى مقوض لنظام العمران. ومعلوم ان الانسان لا يقتصر على التلذذ أو التألم بالحاضر كالحيوان بل يتألم بما سيحصل. ويستريح لأجله. فلا يكتفى بتأمينه فى الحال على نفسه ومتملكاته بل يلاحظ ذلك فى المستقبل أيضا. وهذه الملاحظة لها تأثير عظيم فى حياته وتسمى أملا وهو الذى يبعثه على تنظيم عمله. ويجمع بين لحظات الحياة بعضها مع بعض . الأمل سلسلة تجمع بين وجودنا الحالى ووجودنا المستقبل وتصل بيننا وبين من يأتى بعدنا ـ البغى يهدم ذلك الأمل ويفصم حلقات تلك السلسلة ومتى انتشر هذا الداء عدم الرجاء وخلفه اليأس. فلا يبكى ميت . ولا يفرح بمولود . ولعظم قبح البغى شرعا وعقلا جعلت الشريعة الاسلامية عقوبة صارمة للباغين الذين يفسدون فى الأرض بالسلب والنهب والقتل ومحاربة عباد الله وتهديدهم فى نفوسهم وأموالهم . تلك العقوبة هى القتل أو الصلب أو قطع الأيدى والأرجل أو النفى زيادة على عذاب الآخرة

قال تعالى فى سورة المائدة (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

المظلوم كيفما كان ضعيفا لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار بل يطالب بظلامته : اما بالشكوى الى أقدر منه لينصفه . واما بالتضرع الى المنتقم

الجبار ليقتص له من ظالمه

لا تظلمنّ اذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم مصدره يفضى الى الندم
تنام عينـاك والمظلوم منتبـه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الحديث «اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب» . وقد وعد الله وعدا مؤكدا بنصر المظلوم وأى نصر أعظم من نصر الله تعالى وانتقامه له ـ انتقام الله تعالى من الظالم يكون بتسليط الامراض والعلل عليه ونزول البلايا وحلول الفقر المدقع به وذهاب جاهه وأولاده وأحبابه وأنصاره فتغل يده ويتجرع مرارة الفقر ويذوق عذاب الذل فيتمنى مفارقة الحياة . وفضلا عن الانتقام الالهى يبغضه الناس خشية أن يصل اليهم ظلمه يوماما فيتمنون له الهلاك ومتى مال به الدهر القلب وغـدر به الزمان الذى لا يدوم على حال . هجمت القلوب المفعمة ببغضه على الانتقام منه وأعانت عليه الحوادث فلا يجد له نصيرا *

وقد تحامى الظلم العقلاء والعظماء استجلابا للمحبة ومحافظة على النعمة . حكى أن هارون الرشيد حبس أبا العتاهية فكتب على حائط الحبس

أما والله ان الظلم لوم * وما زال الظلوم هو الملوم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم فى المعاد اذا التقينا * غدا عند المليك من الظلوم

فأخبر الرشـيد بذلك فبكى بكاء شـديدا ودعا أبا العتاهيـة فاستسمحه ووهبـه ألف دينار وأطلقه ـ ولو تأمل الانسان ما آل اليـه حال الظلمة من خراب ديارهم وسوء ما آلهـم لكف يده عن الظلم وسلك سنن العدل وعلم أن كلا يجازى بمـا عمل (ولا يظلم ربك أحدا)

(١١ — الكبائر على العموم)

قال الله تعالى (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

(التفسير)

الفواحش . الكبائر المتزايدة في القبح — بطن خفي — الاثم الذنب — سلطانا حجة وبرهانا — تقولوا تتقولوا وتكذبوا

الاثم الذنب والمعصية كالسرقة وترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها . والذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر . فالصغائر هي التي لم يوعد الله مرتكبها بالنار في الآخرة . والكبائر هي التي نهى الشارع عنها نهيا جازما وأوعد مرتكبها بالعذاب في الآخرة ووضع لبعضها حدودا في الدنيا كالسرقة والقتل . وتسمى الكبائر فواحش لفحشها وزيادة قبحها . ومن الكبائر الاشراك بالله تعالى وهو أعظمها وعقوق الوالدين والقتل والسرقة وشهادة الزور والظلم والكذب واتلاف الأموال بغير حق والحقد والحسد والسحر الى غير ذلك من كل ما استقبحه الشرع وأعد لمرتكبه العذاب الأليم

نص الله سبحانه في هذه الآية الكريمة على تحريم جميع الكبائر ، ظاهرها كالقتل والنهب ، وخفيها كالحقد والحسد . وخص البغي والشرك والكذب على الله بالذكر مع دخولها في الفواحش

للمبالغة في الزجر عنها ولبيان عظم خطرها وضررها . أما البغى فقد تقدم لك بيان مضاره . وأما الشرك فهو اعتقاد أن فى الخلق من يشابه الله فى استحقاق العبادة ويماثله فى الصفات ويشاركه فى الافعال أو يحمله عليها أو يصده عنها . وهو ذنب لا يغفر ويخلد صاحبه فى النار (ان الله لا يغفر أن يشرك به) . وأما القول على الله بغير علم فهو الكذب والافتراء عليه بنسبة أحكام الى الشرع كذبا وبهتانا فيضل الكاذب ويضل غيره ويكون عليه وزره ووزر من تبعه الى يوم الدين

قال الله تعالى (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وفى الحديث الشريف (لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)

وقد جاء فى القرءان الكريم أن المفترى على الله أظلم الناس قال تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) وكفى بهذا الوعيد تقبيحا لهذا الذنب العظيم ـ ومن الكذب والافتراء على الله تعالى أن ينسب الى دينه تلك البدع المنكرة التى انتشرت بين الناس فدنست اسم الدين وهو برىء منها وذلك كالمنكرات التى تأتيها زائرات القبور وكحمل المباخر الفضية والأعلام أمام الجنائز وما يأتيه أرباب الطرق فى المواكب والاحتفالات الى غير ذلك مما يطول بنا عده ـ لم يحرم الشرع أمرا الا لضرر فيه يلحق البدن أو النفس أو المال أو العرض أو يضر بالتعامل وارتباط الناس بعضهم .

بعض . فتحريم الكبائر والنهى عنها من المصالح العامة التى يستفيد منها الفرد والأمة

(١٢ — غاية تأدية المأمورات وترك المنهيات)

قال الله تبارك وتعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(التفسير)

خاشعون خاضعون — اللغو مالا يعنى — ملومين معاتبين — العادون المتجاوزون للحدود — راعون محافظون — الفردوس الجنة

كل عمل له غاية يرمى اليها العامل وينتظرها من عمله، تلك الغاية هى التى تبعثه على الجد فيه وتأديته على الوجه الذى ينبغى، وكلما جلت الغاية وعظمت النتيجة ازدادت رغبة العامل فى عمله وجد فى انجازه. وان غاية العمل بالدين أجل الغايات وفائدته أعظم الفوائد . فوائد

عاجلة وأخرى آجلة . تأمل المقتدى بالشرع فى جميع أحواله تجده قد حفظ نفسه من العقوبات الدنيوية فاكتسب رضا أهله وعشيرته . تجده محبوبا موثوقا به مرغوبا فى معاملته مصدقا فى قوله ، وأى فائدة أعظم من أن يقضى الانسان حياته بين قوم يحبهم ويحبونه . تلك بعض الفوائد العاجلة ، أما الآجلة فهى السعادة فى الآخرة والخلود فى الجنة ، نعيم دائم ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم . هذه السعادة الأخروية وعد الله بها فى هذه الآيات الكريمة وفى غيرها من آى القرءان الكريم ووعد الله لا يتخلف (ان الله لا يخلف الميعاد) . أخبر سبحانه وتعالى فى هذه الآيات بفلاح المؤمنين الخاشعين فى صلاتهم المعرضين عن اللغو من الاقوال والافعال المؤدين للزكاة الحافظين فروجهم المحافظين على الامانات والعهود المؤدين الصلوات فى أوقاتها وأخبر بأنهم يستحقون أعلى الجنات خالدين فيها أبدا ـ أما الخشوع فى الصلاة فالتذلل والخضوع وخشية الله سبحانه وتعالى فلا يشتغل قلب المصلى بشىء خارج عن الصلاة ولا يعبث بشىء من جسده أو ثيابه ولا يلتفت ولا يشبك أصابعه ولا يفرقعها ولا يأتى بأى عمل غير أعمال الصلاة . رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ـ اما الاعراض عن اللغو فترك كل مالا يعنى من قول أو فعل ففى الحديث (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) ـ وحفظ الفروج كناية عن العفة الا على الزوجات أو السرارى والاماء اللاتى تملكهن وليس لك ان تتعدى من الزوجات أربعا ولا ان تتجاوز زوجاتك وسراريك واماءك الى غيرهن فان

تعديت هذا كنت متناهيا فى العـدوان خارجا عن حدود الله وذلك قوله تعـالى (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) — ورعاية الامانات والعهود أن تؤدى ماأؤتمنت عليـه وما عوهدت عليه على أكمل وجه سواءأ كان من جهة الناس كالاموال المودعة أم من جهة الله تعالى كالتكاليف الشرعية والايمـان والنذور والعقود. والمحافظة على الصلوات تأديتها فى أوقاتها مستوفاة الاركان والسنن والمندوبات — ترى فى هاته الآيات وفى غيرها من آى القرءان الحكيم أن الاعمال الصالحة هى التى تؤهل المؤمنين للخلود فى الجنات والفوز عند الرحمن وأما الايمـان أو الاسـلام وحده فغير كاف للحصول على تلك الدرجات .وبهذا تتحقق خطأ من يتركون الاعمال أو لا يؤدونها على وجهها معتمدين على اسم الاسلام وان عاتبتهم قالوا (أمة محمد على خير) ولم يعلموا أن الايمـان أصل له فروع لا بد من تأديتها . قال الامام الغزالى (الاعمال التى هى فروع الايمـان هى تجنب المحارم وأداء الفرائض ، وهى قسمان : أحدهما بينك وبين الله تعالى كالصوم والصلاة. ثانيهما بينك وبين الخلق وهى العـدل والكف عن الظلم والاصل فى ذلك أن تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة أمره والازدجار بزجره ماتختار أن يعتمده عبدك فى حقك ، وأن تعمل فيما بينك وبين الناس ماتريد أن يعمله معك من سواك) — وقال بعض الحكماء قوام الاعمال الصالحة أن تكون نافعا لنفسك ولاهلك ولقومك وللناس أجمعـين بعيدا عن أن تضر أحدا الا لكف ضرر أعظم منـه فاعمل عمل الصالحـين ولا تقنع باسم الدين فالدنيا مزرعة الآخرة

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

ولكل عامل ماقدمت يداه فلا تظلم نفس شيئا ولا يظلم ربك أحدا

(المذاهب)

ليس فى استطاعة كل فرد أن يستنبط الاحكام الشرعية من مآخذها لان ذلك يقتضى قوة ادراك وفهم ومعرفة واسعة بعلوم اللغة العربية ومعانى كتاب الله تعالى وسنة رسوله وتاريخ الدين الاسلامى . وقد اجتهد جماعة من كبار العلماء الذين حازوا كل الصفات التى توصلهم الى استنباط تلك الاحكام متحرين سبيل الحق فى تحريرها وتحقيقها وسميت الاحكام التى استنبطوها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس بالمذاهب . وقد اشتهر من تلك المذاهب أربعة (١) مذهب الامام ابى حنيفة (٢) مذهب الامام مالك (٣) مذهب الامام الشافعى (٤) مذهب الامام احمد بن حنبل (وكلهم من رسول الله ملتمس) وكلها متفقة فى أصول الدين وانما الخلاف فى بعض الاحكام الجزئية - والانسان مخير فى اتباع اى مذهب منها . وكل امرئ اتبع مذهبا ينسب اليه فيقال فلان حنفى اى تابع مذهب ابى حنيفة وفلان مالكى اى تابع مذهب مالك وهكذا

العبادات

(١ — الطهارة)

الطهارة لغة النظافة يقال طهر الثوب بمعنى نظف وطهر الرجل

من العيوب اذا خلا منها وشرعا زوال النجاسة الحقيقية او الحكمية فالنجاسة الحقيقية هى الاعيان المستقذرة شرعا ، والحكمية هى الحدث الذى يوجب الوضوء او الغسل

(٢ — النجاسة الحقيقية)

النجاسة الحقيقية قسمان مغلظة ومخففة فمن المغلظة «١» الخمر «٢» الدم المسفوح «٣» لحم الميتة ذات الدم وجلدها الذى لم يدبغ «٤» بول مالا يؤكل لحمه كالآدمى «٥» رجيع الكلب وسباع البهائم ولعابها وخرء نحو الدجاج والبط من كل مالا يزرق فى الهواء «٦» كل ماينقض الوضوء بخروجه من بدن الانسان كالدم السائل والقيء ملء الفم

ومن المخففة «١» بول كل حيوان يؤكل لحمه كالابل والبقر «٢» روث الحيوان سواء أكان روث مأكول أم لا «٣» زرق طير لا يؤكل لحمه كالحدأة

(٣ — مايعفى عنه من النجاسات)

اذا كانت النجاسة مائعة يعفى عن قدر مقعر الكف ١ من النجاسة المغلظة وعن أقل من ربع الثوب الكامل أو البدن كله من النجاسة المخففة . أما اذا كانت متجسدة فيعفى عن قدر الدرهم من المغلظة وعن القليل من المخففة دون الكثير (القليل مايستقله الناظر والكثير مايستكثره الناظر) . ويعفى عما لا يمكن الاحتراز

---

(١) وطريقة معرفة مقعر الكف ان يغرف الماء باليد ثم يبسط الكف فما بقى من الماء فهو مقدار مقعر الكف

منه كرشاش بول كرءوس الابر وما يصيب الثوب من طين الشوارع بشرط أن لا تعلم فيه عين النجاسة

(٤ — المطهر للنجاسة)

يطهر النجاسة أشياء منها (١) الغسل بكل مائع طاهر مزيل للنجاسة كالماء والخل — وتحصل الطهارة من النجاسة المرئية بزوال عينها بالغسل ولو مرة واحدة ـ ولا يضر بقاء أثر يشق زواله — ومن غير المرئية بالغسل والعصر حتى يغلب على الظن أنها طهرت (٢) المسح بخرقة ونحوها لكل صقيل لا تخلله النجاسة كالسيف والزجاج (٣) الاستحالة وانقلاب حقيقة الشيء كاستحالة الخمر خلا (٤) الاحراق بالنار اذا زال به أثر النجاسة (٥) الدلك للخف والنعل بالارض والتراب اذا كانت النجاسة ذات جرم (٦) جفاف الأرض وكل متصل بها اتصال قرار كالحائط وهذه الطهارة معتبرة فى حق الصلاة دون التيمم

(٥ — النجاسة الحكمية)

تنقسم النجاسة الحكمية الى صغرى وكبرى فالصغرى هى التى توجب الوضوء والكبرى هى التى توجب الغسل وقد تقدم الكلام على الوضوء فى مقرر السنة الثانية وسنتكلم على الغسل وعلى التيمم الذى يقوم مقامهما

(٦ — الغسل)

فروض الغسل ١ المضمضة والاستنشاق وغسل سائر البدن مع تعهد منابت الشعر ــ ومن سننه النية والتسمية وغسل اليدين أولا وازالة النجاسة ان كانت على البدن والتوضؤ كوضوء الصلاة وافاضة الماء على البدن ثلاثا والدلك وصب الماء على الرأس والبدء بغسل الميامن ــ وآدابه هي آداب الوضوء ــ وكيفيته ان يسمى الله تعالى ثم ينوى الغسل ويغسل يديه ويزيل النجاسة التى على بدنه ان كانت ويتوضأ وضوء الصلاة الا رجليه ان كان فى موضع تجتمع فيه المياه ثم يفيض الماء على جسمه ثلاثا بادئا برأسه ثم بمنكبه الايمن ثم الايسر ويدلك جميع جسده ويتعهد منابت شعره ثم يغسل رجليه . وليس على المرأة أن تنقض ضفائرها اذا بلغ الماء أصول الشعر وعلى الرجل نقض ضفيرته لعدم الحرج ولانها ليست من زينته

(٧ — التيمم)

اذا جاء وقت الصلاة وكنت محدثا ولم تجد ماء تتوضأ به أو تغتسل ، أو كان الماء بعيدا عنك ميلا شرعيا ٢ ، أو وجدت ماء ولكنك تخشى من استعماله مرضا أو زيادته أو تأخر الشفاء منه ، أو كنت تحتاجه لشرب انسان أو حيوان ولو كلب حراسة أو لعجن

---

(١) فروضه عند مالك النية والموالاة وتعميم ظاهر الجسد بالماء والدلك وتخليل الشعر وأصابع الرجلين ــ وعند الشافعى النية وازالة النجاسة ان كانت على البدن وايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة

(٢) أى كيلو مترين تقريبا

أو طبخ يضرك عدمه . أو تعذر عليك الوصول اليه لسبب ما كخوف عدوّ أو فقد أداة وجب عليك أن تتيمم وتصلي - وكيفية التيمم أن تسمي الله تعالى وتنوي استباحة الصلاة ثم تضع يديك مفرقاً أصابعهما على تراب طاهر أو نحوه من كل طاهر من جنس الارض ١ ثم تنفض يديك ثم تمسح بهما وجهك وتضعهما على التراب مرة ثانية وتمسح بهما يديك الى مرفقيك مقدما اليمنى ، ثم تصلي ما تشاء من النوافل والفروض ٢ - وينقض التيمم زوال العذر المبيح وناقض الوضوء

(٨ — آية الطهارة)

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

---

(١) كل ما يحترق بالنار فيصير رمادا كالشجر أو ينطبع ويلين كالحديد فليس من جنس الارض وما عدا ذلك فهو من جنسها

(٢) لايجوز صلاة أكثر من فرض بتيمم واحد عند مالك والشافعي

(التفسير)

المرافق جمع مرفق وهو مفصل الذراع بالعضد ــ الكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي الرجل عند مفصل الساق والقدم ــ الجنابة وصف يوجب الغسل ــ الغائط المكان المنخفض والمراد بالمجيء منه قضاء الحاجة ــ الملامسة تماس البدنين بشيء من اجزائهما ــ الصعيد وجه الارض ــ الطيب الطاهر ــ الحرج الضيق

نص سبحانه فى هذه الآية الكريمة على وجوب الطهارة للصلاة بالوضوء أو الغسل ، وعلى التيمم عند عدم وجود الماء . فاذا أردتم القيام للصلاة وكنتم محدثين فاغسلوا وجوهكم وأيديكم مع المرافق وألصقوا المسح برءوسكم . والصاق المسح يصدق بمسح الكل كما قال مالك وبمسح الربع كما قال أبو حنيفة وبمسح البعض ولو بعض شعرة كما قال الشافعى . واغسلوا كذلك أرجلكم مع الكعبين . وان كنتم جنبا (١) فاغتسلوا وان كنتم مرضى مرضا تخافون زيادته أو الهلاك منه باستعمال الماء أو كنتم مسافرين أو أحدثتم أو لامستم النساء فطلبتم الماء لتتوضئوا أو تغتسلوا فلم تجدوه فاقصدوا شيئا طاهرا من وجه الارض كالتراب فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء والغسل تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم من الاحداث بالماء اذا وجد وبالصعيد اذا فقد وليتم نعمته عليكم بترخيصه فى التيمم بدل الوضوء والغسل لتشكروا نعمه بطاعتكم اياه فيما أمركم به ونهاكم عنه

---

(١) الجنابة وصف

(حكمة الطهارة)

أجمع الاطباء على أن فى الجسد مسام يفرز منها عرق وموادز يتية وأملاح تمتزج بالغبار وتلتصق بالجلد وتسد مسامه فيتغطى بطبقة تمنع ظهور العرق والتنفس الجلدى وتسبب الامراض والقذر . ودلت تجاربهم على أنه اذا طلى جلد حيوان بمادة مانعة لخروج ماينبعث منه مات كما يموت اذا حجز عنه الهواء ولهذا أوجبوا غسل الجسم والمحافظة على نظافته من الاقذار والغبار لفتح مسام الجلد وتنشيطه للعمل وتقوية الاعصاب ومنع الامراض الجلدية . والنظافة من ضروريات الحياة وكلما ارتقت أمة ازداد أفرادها اعتناء بنظافة أجسادهم وملابسهم وما يحيط بهم وتجنبوا معاشرة القذر المهمل فى النظافة . ومن الحكم التى لا يخلو من معناها دين من الاديان «النظافة من الايمان» وقد جعل الدين الاسلامى النظافة من شعائره فحرم الصلاة على كل مسلم لم يتطهر أولا «ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» . راعى الشارع الحكيم مصلحة الجسم والروح معا ففرض الوضوء للصلاة وفيه كما تعلم تنظيف الاعضاء المكشوفة من الجسد غالبا المعرضة للاوساخ والغبار . وفرض الغسل الذى هو غسل أجزاء الجسم غسلا محكما عند حصول موجباته ، وسنه للاجتماعات كصلاة الجمعة والعيدين ليأمن الانسان من الامراض التى تنشأ عن الاوساخ وليألفه الناس ولا يأنفوا من مخالطته فى الصلوات وغيرها ، ولتنشرح روحه وينشط لعبادة ربه فيأتى بها على الوجه الاكمل ويجمل ظاهره فيكون عنوانا على جمال باطنه وقد جاء فى الاثر «الطهور شطر الايمان» ولا معنى لهذا اذا كان قاصرا على نظافة الظاهر

وحتم الشارع أيضا طهارة المكان والثوب لكل صلاة تخلصا من أذى النجاسة والاقذار واستكمالا لما يجب أن يراعى عند مناجاة العزيز الغفار ــ سبحانه من اله حكيم هدانا الى ما به قوام صحتنا وطهارة أرواحنا

(أسرار الصلاة)

للصلاة أسرار عجيبة وحكم بالغة . منها أنها (١) تهذب النفوس ولا سيما نفوس المتكبرين الذين يأنفون من مس الارض لذيولهم فضلا عن جباههم ووجوههم (٢) تمرن الناس على الانقياد والخضوع (٣) تعود الانسان النظام والثبات وقوة العزيمة والمحافظة على المواعيد (٤) تذكر الغافلين والمنهمكين فى أعمال الدنيا بمولاهم وبنعمته عليهم وعلمه بشئونهم وقدرته على التصرف فيهم

اذا استيقظ الانسان من نومه بادره مرض الغفلة عن الله تعالى باهتمامه فيما يفعله فى يومه فاذا قام الى صلاة الصبح وتطهر بالغسل أو بالوضوء ولاحظ أن هذه الطهارة تعدّه للوقوف بين يدى خالقه ثم شرع فى الصلاة معتقدا كبرياء ربه وأنه أكبر من كل كبير وأخذ يوقظ نفسه من داء الغفلة بالثناء على ربه ووصفه بالرحمة والربوبية والتصرف المطلق فى خلقه والاقرار له بالعبودية وطلب الاستعانة والهداية منه الى الصراط المستقيم ثم تقلب بين أجزاء الصلاة مراعيا فى كل جزء من أجزائها أصول الادب والخضوع لم يفرغ من صلاته الا وقد امتلأ قلبه بجلال خالقه المنعم عليه وعقد النية على امتثال كل مايرضيه واجتناب كل مايسخطه ، ثم اذا قام لمساعيه الدنيوية وانهمك فيها فلا بد أن يعاوده مرض الغفلة بعروض أسبابه كما ينتكس

المريض فاذا شرع فى صلاة الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء دام تذكره لمولاه وتيقن أنه عبده يلتمس رضاه فيكفى بذلك شر نفسه ويكفى اخوانه مايسوءهم من أطماعه وشروره. ومن هنا يظهر معنى قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ـ هذه الصلاة التى يتفرغ فيها الانسان لمناجاة ربه ويستحضر فيها عظمته وجلاله ويخضع فيها كل الخضوع هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر أما من اقتصر فى أداء صلاته على أداء ظواهر أفعالها فقط فهذا قلما تنتج له صلاته تلك النتيجة بل ربما كانت وبالا عليه اذ الغفلة فى الصلاة لا تنشأ الا من عدم مراعاة الخالق ولا شك أن هذا يغضبه ـ اهتمت الامم الراقية من زمن غير بعيد بتقوية أجسام أبنائها لتقوى عقولهم فحتمت الالعاب الرياضية فى مدارسها وحددت لها أوقاتا معينة. والدين الاسلامى سبقهم الى ذلك بفرض الصلاة وجعل أوقاتها عند القيام من النوم وهو وقت الكسل المحتاج فيه الشخص الى النشاط بالوضوء أو الغسل ثم بالاعمال البدنية الشاملة كل الاعضاء. وفى وقت الظهيرة بعد أن يتعب الجسم، ثم فى أوقات العصر والمغرب والعشاء، وهذه الاوقات كلها يكون الانسان فيها محتاجا الى الرياضة. وانك لترى الرجل قد أنهكه العمل واستولى عليه الملل فاذا تطهر وصلى عادت اليه قواه واقبل على عمله بنشاط. وقد اعتاد بعض الناس عند قيامه من النوم وفى أوقات فراغه ان يلعب ألعابا رياضية ليقوى صحته ويجدد قوته ولو استعاض هذا بصلاة مافرض الله عليه وزاد من النفل ماشاء لاستفاد تلك الفائدة الجسمية وفاز بأسرار الصلاة الروحية

ترك الصلاة من الكبائر

حثت الشريعة الاسلامية على اقامة الصلاة لما فيها من الأسرار والحكم . وشددت النكير على من يتركها عمدا غير معتقد وجوبها حتى حكمت عليه بالكفر ، ففى الحديث الشريف (العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) - يقول بعض تاركى الصلاة ان الله غنى عن صلاتنا وفاتهم أنهم بذلك كالمرضى الذين يأمرهم الطبيب الناصح بتناول الدواء الناجع فان هم امتنعوا وقالوا أنت غنى عن تناولنا هذا الدواء فقد عجلوا لانفسهم الهلاك والدمار - ان هؤلاء فى شدة الحاجة الى التهذيب والتذكير والتمرن على الطاعة والانتهاء عن الفحشاء والمنكر «وان كان الله غنيا عنهم وعن أعمالهم» والصلاة كفيلة بذلك كله — يدعى بعض تاركيها انه مسلم ألم يعلم أن تركه الصلاة هادم لاسلامه ففى الحديث الشريف (الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين) وهؤلاء وأمثالهم تراهم متظاهرين بحب الدين والدفاع عنه ولكنهم يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ، اذ لو كان حبهم صحيحا ماعصوا الله تعالى وتركوا أهم اركان دينه.

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع
فى كل وقت يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك مضيع

وهذا أكبر دليل على الكذب فى الحب والنفاق فى لاخلاص — سهل الشارع طريق الصلاة حتى لايكون عذر لتاركها فأجاز التيمم لمن تعذر او تعسر عليه التطهر بالماء . وسوغ

لمن عسر عليه استقبال القبلة أن يتحرى ويصلى الى الجهة التى يغلب على ظنه أنها القبلة . ولمن عجز عن ستر العورة بثوب طاهر أن يصلى بدون ستر قاعدا موميا بركوع وسجود . ولمن عجز عن القيام فى الصلاة أن يصلى قاعدا فان عجز عن القعود فمضطجعا فان عجز فموميا حتى اكتفى منه باشارة رأسه الى أعمال الصلاة ، وجوز الصلاة بالنعل متى كانت خالية من النجاسة . كما أجاز له القضاء اذا لم يتمكن من تأدية الصلاة فى وقتها وهكذا من أنواع التيسير التى رفعت عن المصلى كل تضييق «وما جعل عليكم فى الدين من حرج» — فعلام يعتمد تارك الصلاة اذا وقف أمام مولاه أينكر تلك الاوامر ويكذب الرسل وقد بلغوا رسالات ربهم وبشروا وأنذروا ام ماذا يصنع ؟

خسر الذى ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه * أضحى بربك كافرا مرتابا
اوكان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا

فليتق الله وليتب من ذنبه ويؤد الصلاة ويحافظ عليها ليستيقظ من غفلته ويأمن شرور الدنيا وعذاب الآخرة

(٩ — حكمة الزكاة)

الزكاة هى تمليك الغنى جزءا معينا من ماله للفقراء والمحتاجين بشرائط مخصوصة ، وهى ركن من الاركان التى بنى عليها الاسلام * اقتضت حكمة الله تعالى فى انتظام شئون العالم ان توجد فيه المتباينات فترى فيه العاقل والمجنون والقوى والضعيف والغنى والفقير والذكى

والبليد الى غير ذلك ،ولو كان الناس على حالة واحدة ماتم نظام الكون فلو كانوا جميعا أغنياء او فقراء لسكنت حركة الكون ولتعطلت مصالحه . اذ لو كانوا جميعا أغنياء لم يكن هناك داع يدعوهم الى السعى لانه لاخوف عندهم من الفقر ، ولو كانوا جميعا فقراء لم يكن باعث الى العمل لانه لاطمع فى الغنى ، فالحكمة اذا ايجاد الغنى والفقر ومراتب بينهما ليكون هناك باعث على العمل فكلما وصل الانسان الى مرتبة طمع فيما فوقها فشمر عن ساعد الجد والكد فى العمل - اقتضت حكمته تعالى أن يخفف شدة الفقير رأفة به فجعل على الغنى فى ماله جزءا معلوما يدفعه اليه فى كل عام يسد به عوزه ويخفف بلاءه ويكفى حاجته الضرورية وبذلك يعم الامن، فالغنى يتمتع بماله آمنا ، والفقير يكفى المئونة فيأمن الناس شروره فان كثيرا من انواع الشرور كالسرقة والنهب والغصب والاختلاس والغش والخديعة تنشأ من اضطرار الفقراء وضيق ذات يدهم ،فاذا أدى الاغنياء زكاة أموالهم كان ذلك سببا فى دفع الشرور وتثبيت دعائم الامن وتقليل متاعب الناس والحكومة . ولا تنس ان الزكاة مطهرة للانسان من البخل الذى هو من أقبح الصفات وأرذل الخصال لان داء البخل فى الاغنياء يولد الحسد فى الفقراء ، وناهيك بهذين الداءين من مفرق بين القلوب وموقع فى المهالك «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وزد على ماتقدم انها توجد بين المزكى ومن يدفع اليهم الزكاة صلة تراحم ومودة تفوق صلة القرابة، فانها لم تخرج عن كونها احسانا يستعبد الاحرار

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

فالزكاة ركن ركين من أركان الدين والمدنية . وفضيلة من أكمل الفضائل الانسانية . ولو وفق جميع الاغنياء لدفع زكاتهم لخفت آلام الفقراء ولقلت مصائبهم ، ولرأينا الوفاق تاما بينهم و بين الاغنياء

(جزاء مانع الزكاة)

منع الزكاة كبيرة من الكبائر وهدم ركن من أعظم أركان الاسلام وقد أوعد الله مانعها بالعقاب الشديد فقال

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

وقال تعالى حاكيا جواب المجرمين حين سئلوا عن سبب دخولهم جهنم « ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » الى غير ذلك من الآيات ـ منع الزكاة مقوّض لاركان المدنية لما علمت من أنها تؤلف القلوب وتزيل البغضاء والحقد وتؤمن على الأرواح والأموال . وتحفظ الأمن العام ـ مانعها عرضة لانتقام الله سبحانه وتعالى يسلب منه نعمته فيذيقه الذل بعد العز ، والتعب بعد الراحة ، والحزن بعد المسرة ، والضعف بعد القوة ، و يصبح مستحقا للزكاة بعد أن كانت ترجى منه . وكم شاهدنا من أناس عوقبوا هذا العقاب الأليم فبعضهم سلط الله عليهم أولادهم فبذروا فى أموالهم و بددوها فى غير مرادهم وأمثال هؤلاء يعدّون بالمئين . و بعضهم ابتلاهم بالعلل والأمراض فأنفقوا لمدافعتها الأموال الطائلة وصرفوا أضعاف أضعاف ما كانوا يصرفونه فى الزكاة فضلا عن تشتت أفكارهم وضيق

نفوسهم . — مانع الزكاة بخيل شحيح لا يسلم ماله من الحوادث وشراهة الوارث ففى المثل « بشر مال الشحيح بحادث أو وارث » فالحادث يذهب بماله وهو محزون عليه والوارث قد ينفقه فى غير طاعة الله وهو يسأل عن كل مثقال خردلة منه ويحاسب عليه « يوم لا ينفع مال ولا بنون » وان الوارث ليضن عليه بأقل القليل وما يلبث أن تنقضى مدة عزائه حتى يهجم على أمواله فرحا بلقائها وما كان لقاؤها الا بموت مورثه فهو فرح بزواله وان بكى وناح . — فعلام يرمى الانسان نفسه بالبلاء ويمنع زكاة ماله لأجل هذا الوارث الذى لا يعبأ به ولا يهتم بشأنه ماهذا الا جهل فاضح وغباوة مستحكمة فليؤد الانسان زكاة ماله لينجو من عذاب ربه وما بقى بعد ذلك يعيش به مدة حياته آمنا مطمئنا و بعد وفاته يرثه مستحقوه .

(١٠ — الصلاة والزكاة من أسباب رحمة الله)

قال الله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

الولى المحب أو الصديق أو النصير وكلها تناسب الآية . فان شأن المؤمنين والمؤمنات أن يتحابوا ويتصادقوا ويتناصروا . والأنسب هنا أن يكون بمعنى النصير وعلى هذا فالمعنى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » أى ينصر بعضهم بعضا ويشد ازره وقد جاء

فى الحديث الشريف « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفى حديث آخر (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وقد وصف الله تعالى المؤمنين بأكمل الصفات فقال (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) ولا غرابة فان شأن المؤمن أن ينصر أخاه ويحب له ما يحب لنفسه وأن يأمره باتباع الشرع الشريف وينهاه عن المنكرات على قدر استطاعته وبما يظن نجاحه فيه ففى الحديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) ، وان يؤدى الصلاة على وجهها فيستشعر قلبه بعظمة الله تعالى فيأتمر بأمره وينتهى بنهيه وفى ذلك السعادة الحقة ، وأن يدفع الزكاة لاخوانه الفقراء لينصرهم بماله وينصروه بمحبتهم له واخلاصهم فى الدفاع عنه ، وأن يطيع الله ورسوله فى كل ما جاء به الشرع ولا يأتى الا بما فيه المصلحة العامة وسعادة الفرد والأمة . ثم نص سبحانه على ان المؤمنين الذين يتصفون بتلك الصفات هم أهل لرحمته والفوز بمزيد نعمته فقال (أولئك سيرحمهم الله) ثم أكد هذا الوعد بقوله جل شأنه (ان الله عزيز حكيم) العزيز القوى القادر والحكيم الذى يضع الاشياء فى مواضعها لان من كان هذا شأنه فلا يضيع أجر العاملين بل يجازى كلا بما يستحقه فيرحم عباده المؤمنين العاملين بمقتضى حكمته ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه

(١١ — صلاة الجمعة)

فرضت صلاة الجمعة في السنة الثانية من الهجرة بقوله تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ)

والمراد بالنداء الأذان الذى يؤذن به على المئذنة أو على سطح المسجد. و بترك البيع ترك كل مايشغل عن تأدية صلاتها من بيع وشراء ونحوهما. وهى فرض عين على كل شخص مكلف حر مقيم بالمصر أو توابعه. قادر على تأديتها بلا حرج. ووقتها وقت الظهر وتغنى عنه. وعدد ركعاتها اثنتان

(شروط صحة أدائها)

(١) المصر أو توابعه وهو كل بلد به حاكم ينفذ الأحكام ويقيم الحدود (٢) اذن السلطان أو نائبه باقامتها عند بناء المسجد (٣) الجماعة وأقلهم ثلاثة رجال سوى الامام (٤) الخطبة قبلها بقصد الذكر (٥) الاذن العام. ويتم بأن تفتح أبواب الجامع للواردين (٦) وقت الظهر — ويسن لمن أراد ان يصلى الجمعة الغسل والنظافة والطيب فى يومها كما يسن أن يجلس الخطيب على المنبر قبل الخطبة وأن يؤذن بين يديه وأن يخفف ولا يطيل — ومتى قصد الخطيب المنبر للخطبة تعين على الناس ترك الكلام والصلاة وكل مايشغل عن السماع كالتسبيح وقراءة القرءان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة

والسلام (اذا خرج الامام فلا صلاة ولا كلام) وماتراه اليوم من ترقية وترديد أذان ورفع صوت بدعاء بين الخطبتين وترض عن الصحابة ودعاء للسلطان من المرقى كل هذا من المحدثات التى لا ينبغى عملها لانها مخلة بسماع الخطبة المأمور به ١

﴿ ١٢ — حكمة صلاة الجماعة ﴾

شرع الدين الحنيف صلاة الجماعة لأسرار عجيبة وحكم بالغة منها (١) تمرين النفوس على الطاعة والانقياد للرؤساء وذلك مطلوب شرعا قال تعالى (يأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) . (٢) تعويدها النظام الذى هو أساس نجاح الاعمال فان استقامة صفوف الجماعة وانتظامها وتحديد أوقاتها كافل لأن يصير النظام عادة لمن يواظب عليها (٣) الارشاد الى فضيلة العدل والانصاف والمساواة لأنك ترى الغنى على وفرة ماله وقوة سلطانه واقفا بجانب الفقير كتفا لكتف لا فرق بينهما أمام الخالق (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (٤) غرس فضيلة الحلم لأن المأموم يكون تابعا لامامه كيفما أطال فى قراءته وركوعه وسجوده فيعتاد الصبر وهو حبس النفس على احتمال الآلام (٥) غرس فضيلة التواضع اذ يتبع فيها المأموم امامه كيفما كان جاه الاول وماله وكيفما كان عليه الثانى من بلى الثياب وقلة ذات اليد

---

(١) يشترط عند الشافعى أن تكون فى جماعة لا يقل عددهم عن ٤٠ والخطبتان وأن تقع فى أبنية ، وعند مالك الاستيطان وحضور اثنى عشر رجلا غير الامام ، والامام والخطبتان

(٦) التعاون والتعاضد والتحابب المبنى على الاجتماع الى غير ذلك من الفوائد — ولما فى صلاة الجماعة من المزايا الخاصة بالمصلى والعامة للأمة كانت أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة . وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يرون فواتها خطبا جسيما وخسرانا عظيما ويعزون من تفوته — وكان يؤمهم أفضلهم علما وأعلاهم منزلة حتى كانت امامة الصلاة دليلا على صلاحية الامام للولاية فى امور الدنيا ألا ترى ان الصحابة رضوان الله عليهم رضوا أبا بكر خليفة لأن رسول الله أمرهم فى مرضه ان يقتدوا به فى الصلاة ، وقالوا رضيه رسول الله لأمر ديننا فنحن نرضاه لأمر دنيانا . ولو لم يكن لصلاة الجماعة من حكمة سوى تأليف القلوب ومحو الاحقاد من الصدور وغرس فضيلة التواضع لكفاها ذلك فضلا

(١٣ — حكمة صلاة الجمعة)

صلاة الجماعة يجتمع فيها أهل الحارة الواحدة وكثيرا ما توجد عوائق تعوقهم عن الاجتماع مع غيرهم فشرعت صلاة الجمعة ليجتمع أهل البلد فى مسجد واحد أو فى أكثر ان دعت الضرورة الى التعدد مغتسلين متجملين بأحسن الثياب متعطرين بأذكى العطر . ويخطبهم قبل الصلاة الخطيب بالخطب المشتملة على المواعظ والزواجر والتذكير بما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام ويعلمهم فيها ما يفيدهم فى دينهم ودنياهم وأوجب الشرع عليهم استماع تلك الخطب والانصات لها فتراهم مطرقى الرءوس منصتين مستمعين كأن على رءوسهم الطير واثقين بأن جميع ما يتلوه عليهم الخطيب نافع لهم ومفيد فاذا اجتمع أهل البلد لصلاة الجمعة ووعوا الخطبة رقت عواطفهم وتألفت قلوبهم وسارعوا الى الخيرات

وخرجوا من صلاتهم اخوانا صادقين ساعين الى أعمالهم على وفق شريعتهم فلا يأتون منكرا ولا يتعدون حدود الشرع فيسعدون جميعا وهذا هو المقصود من صلاة الجمعة. واستماع خطبتها وهو لا يحصل فى غيرها من بقية صلوات الجماعة لان الذين يجتمعون لها عادة يكونون أكثر ولأن الاعتبار فيها أعظم . ولهذا أنكرت الشريعة أشد الانكار على تارك صلاة الجمعة — وعلى هذا فينبغى للخطباء أن يجعلوا خطبهم نافعة مفيدة فى الدين والدنيا وان يعرفوا ان لعملهم غرضا خاصا وهو التأثير فى القلوب حتى تعمد الى مافيه مصلحتها وتترك مافيه ضررها . ويسعوا الى هذا الطريق من أقرب جهاته وأن يتركوا ما بلى من الخطب وثقل سمعه على النفوس حتى صارت لا تتأثر به ولا تستفيد منه — فما كان الرسول عليه السلام يتلو من كتاب وما كان يكرر الخطب وما كان الصحابة بعده رضوان الله عليهم يعملون هذا بل كانوا يجعلون لكل مقام مقالا وينبهون الناس الى ما ينفعهم عاجلا وآجلا حتى يكونوا على بينة تامة من حاضرهم ومستقبلهم ورسول الله وأصحابه هم القدوة الطيبة والاسوة الحسنة

(١٤ — الصوم)

الصوم فى لغة العرب الامساك عن كلام أو غيره وشرعا الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس . ويشترط لصحة الصوم النية والخلو من الحيض والنفاس . ويشترط لوجوب أدائه الصحة والاقامة والخلو من الحيض والنفاس

(صوم رمضان)

فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة على كل مكلف قال تعالى (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقال تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وفى الحديث بنى الاسلام على خمس وذكر منها صوم رمضان . ويعلم دخول رمضان برؤية هلاله او استكمال شعبان ثلاثين يوما . ويثبت الهلال بخبر عدل ولو عبدا او امرأة ان كان بالسماء مانع كسحاب او غبار و بخبر عدلين او عدل وامرأتين ان لم يكن بالسماء مانع ولا يشترط أن يراه كل واحد او جمع عظيم من الناس – واذا لم يعلم اليوم المتمم للثلاثين من شعبان اهو من شعبان أم من رمضان فهو يوم شك يكره تحريما صومه عن رمضان

(مفسدات الصوم)

مفسدات الصوم نوعان: نوع يوجب القضاء والكفارة، ونوع يوجب القضاء فقط . فمن الاول ايصال شئ الى الجوف من الفم جرت العادة بالتغذى به كحب الحنطة مثلا او التداوى به كالطين او التلذذ به كشرب الدخان ويشترط فى وجوب الكفارة بهذا المفسد ان يكون الصوم اداء رمضان وان يكون الافساد متعمدا وأن لا توجد شبهة شرعية كمن أكل عمدا بعد أكله ناسيا ظانا انه قد افطر. وأن لا يعرض فى اليوم الذى حصل فيه الافساد مبيح للفطر من غير صنعه كحيض ونفاس – والكفارة عتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا كل مسكين

نصف صاع من بر اودقيق اوصاع من تمر او زبيب اوشعير - (والثانى)وهوالموجب للقضاء فقط أشياءمنها (١)ايصال شئ الى الجوف من الفم لم تجر العادة بالتغذى او التداوى او التلذذ به كالعجين والحصى والتراب (٢) ايصال دواء الى الدماغ اوالجوف من غير الفم كأن يصل اليهما من جراحة اوأنف اوأذن اونحو ذلك (٣) وصول شئ بنفسه الى الجوف يمكن الاحتراز عنه كالمطر والثلج (٤) القئ عمدا بشرط ان يكون ملء الفم . وكذا اعادة قدر الحمصة من قئ خرج بنفسه وكان ملء الفم

(الاعذار المبيحة للفطر)

من فرض عليه الصوم لا يباح له الفطر الا عند تحقق عذر من الاعذار الآتية (١) ان يغلب على الظن حصول ضرر بدنى بسببه الصوم كالمرض او امتداده او تلف نفس اوعضو. ويعلم ذلك باشارة طبيب مسلم حاذق اوتجربة اوغلبة ظن . فيباح الفطر للحامل والمرضع ولو ظئرا ان خافتا على انفسهما اوولدهما . ولمن عطش عطشا شديدا او جاع وخاف على نفسه الهلاك أو نقصان العقل . ولمن أكره على الفطر وخاف تلف نفسه اوعضو من اعضائه . وعليه القضاء متى زال العذر المبيح (٢) السفر الشرعى (ومقداره ١٨ فرسخا اى ٨٤ كيلو مترا) - وانما يجوز الفطر اذا شرع فى السفر قبل الفجر وعليه القضاء . فعن أنس كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولم يعبه المفطر على الصائم (٣) كبر السن الذى لا يمكن معه الصوم -

فالشيخ والمرأة اللذان أعجزهما الكبر يفطران وعليهما الفدية ان كانا موسرين

(آيات الصوم)

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَاهَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

(التفسير)

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) ـ كتب هنا بمعنى فرض أى فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على من قبلكم من الأمم السابقة .. والصوم عبادة قديمة معروفة

عنـد قدماء المصريين وعند اليونان والرومان وعند اليهود والنصارى وان اختلفت كيفيته . فالبعض يصوم عن أصناف معينة أياما معدودة والبعض يصوم عن كل شيء جزءا من اليوم — وانما كان فرضه عاما لما فيه من تهذيب النفوس وتذليلها وسعادتها وقد شرعت الشرائع جميعها لذلك (لعلكم تتقون) لتتهيأ نفوسكم وتستعد للتقوى وهى أن تجعل بينك وبين سخط الله وقاية بان تحامى أسباب خذلانه في الدنيا وعذابه في الآخرة (اياما معدودات) معينات بالعدد وهى أيام رمضان (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فمن كان في شهر رمضان مريضا مرضا يعسر عليه الصوم فيه أو مسافرا سفرا شرعيا جاز له أن يفطر ويقضى الايام التى أفطرها بعـد رمضان (وعلى الذين يطيقونه فدية) معنى يطيقونه لا يستطيعون صومه الا بمشـقة زائدة أى أن الذين يستطيعون الصوم بتكلف ومشقة كالشيوخ الضعفاء يفطرون ويدفعون الفدية ان قدروا عليها (فمن تطوع خيرا فهو خير له) فمن صام تطوعا أى زيادة على شهر رمضان فهو أحسن وأنفع له (وأن تصوموا خير لكم) والصيام خير لكم وأنفع لما فيه من رياضة الجسد والنفس وتقوية الايمان بمراقبة الله تعالى (ان كنتم تعلمون) ان كنتم موقنين بخيرية الصيام عالمين بسره (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرءان هدى للناس) بين سبحانه في هذه الآيات أن الأيام المعدودات هى شهر رمضان

وأن الحكمة في تخصيصه بهذه العبادة هي أنه الشهر الذى أنزل فيه القرءان وافيضت على البشر فيه هداية الرحمن فكان من الحكمة أن يعبد الله فيه بهذه العبادة تذكيرا لانعامه فيه بهذه النعمة ٠ وشكرا له عليها (وبينات من الهدى والفرقان) البينات الآيات الواضحة ، والهدى الهداية ، والفرقان الفارق بين الحق والباطل بعد ان وصف تعالى القرءان بأنه هدى فى نفسه لجميع الناس وصفه بأنه من جنس الكتب الالهيـة في الهداية الا انه يزيد عليها وضوح الدلالة وكمال الهداية وتمام الفرق بين الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) شهد بمعنى حضر أى من كان حاضرا في الشهر فليصمه ــ وسكان البلاد القطبيـة ومن جاورهم يقدرون قدر الشهر ويصومونه ٠ ويكون التقدير بشهر البلاد المعتدلة التى حصل فيها التشريع كمكة والمدينة أو أقرب البلاد المعتدلة اليهم (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) اعيدت هذه العبارة لئلا يتوهم بعد تعظيم أمر الصوم وبيان زمنه أن صوم الشهر حتم لااستثناء فيه (يريدالله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) يريد الله تعالى بما بين لكم من الاحكام أن يسهل عليكم ولا يضيق ولهذا أوجب الصوم على الصحيح المقيم القادر واباح الفطر للمريض والمسافر ولمن يشق عليه الصوم (ولتكملوا العدة) شرع لكم صوم شهر رمضان لتكملوا عدته وتصوموه كاملا (ولتكبروا الله على ماهدا كم) شرع القضاء على من أفطر بسبب مرض أوسفر لتعظموا

شأنه لهدايته لكم ببيان أحكام الفطر والقضاء (ولعلكم تشكرون) شرع لكم الفدية في حالة المشقة وأراد بكم اليسر دون العسر لتشكروا هذه النعمة فتنالوا رضاه وتفوزوا بجنته

(أسرار الصوم)

الصوم أمر موكول الى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه الا الله تعالى فاذا ترك لذاته وشهواته مدة شهر كامل فى السنة ممتثلا لأمر ربه ملاحظا أنه مطلع عليه رسخت فى نفسه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه فلا يهم بمعصية الا وجد من نفسه زاجرا عنها . وهو أعظم مهذب للارواح يمرنها على ملازمة الطاعة لاوامر الله تعالى ولو لاحظت حالة الصائمين فى شهر رمضان من تحريهم الطاعة وابتعادهم عن المعاصى لعرفت أن الصوم من أعظم أسباب الهداية

الصوم يقضى على الصائم أن يترك الأكل والشرب من الفجر الى المغرب فيحس بألم الجوع والعطش ويدرك الفرق بين نعمة الطعام والشراب ونقمة السغب والظما فاذا رأى فقيرا قصرت يده عن نيل القوت علم مقدار ما يجده من الآلام فيشفق عليه ويحسن اليه بما فضل عنده من نعمة مولاه . ولولا الصوم ماعرف المترفون ألم الجوع فالصوم داع الى الشفقة والاحسان والى الرأفة والرحمة الداعيتين الى البذل والصدقة . الصوم يمرن النفس على الكرم الممدوح عقلا وشرعا ويطهرها من دنس البخل الذى يورث ذما وذلا . الصوم محك لاظهار شرف النفس وأنفتها وقدرتها على كبح جماح شهواتها فالذى يوفى فريضة الصوم يبرهن على أنه ذو نفس علية تقدم

صالحها الادبى وسعادتها الابدية على ميلها الحيوانى — الصوم الحقيقى يقوى النفس علىَ الصبر والحلم وعلى تجنب كل مامن شأنه اثارة الغضب . وانك لتجد عقلاء الصائمين لا يغضبون فى رمضان مما يغضبون له فى غيره ولا يأتون فيه مايخالف الآداب قولا أو فعلا . وفى الحديث « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » . وقد توهم بعض الناس أن الصوم يثير الحمق والغضب لأدنى سبب حتى اذا أفحش أحدهم قال الآخر لاعتب عليه فانه صائم ، وهؤلاء لم يفقهوا للصوم معنى - ان بعض الناس يصومون محافظة على رسوم الدين الظاهرة حتى ان الحائض لتصوم وترى الفطر عارا وليس هذا من الدين فى شئ ، وان بعضهم لينفق فى رمضان على المآكل والمشارب مايساوي نفقة سائر السنة وربما يستدين لهذا الغرض وينفق فوق طاقته ظانا ان ذلك من دواعى الصيام بل كثير منهم يترقب وقت الغروب أشد الترقب فاذا أتى المغرب انقض على الطعام انقضاض السبع على فريسته فملأ معدته بأنواعه وكأنه لم يمسك عن الطعام نهارا الا لأجل ان يستكثر منه ليلا فيقع فى مخالب الأمراض . وليس كل هذا مقصودا من الصوم انما الغرض منه تهذيب النفوس ورياضتها واعدادها للسعادتين الدنيوية والأخروية

---

١٥ — الحج

(مكة المكرمة والبيت الحرام)

مكة بلدة مشهورة من بلاد الحجاز شرفها الله من قديم الزمان ببناء الكعبة المعظمة فيها وهى البيت الحرام الذى بناه سيدنا ابراهيم عليه السلام بأمر ربه وساعده فى بنائه ابنه اسمعيل عليهما السلام . هذا البيت المعظم بعد أن تم بناؤه أمر الله سيدنا ابراهيم أن يدعو الناس الى حجه فأوحى اليه (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) . هذا البيت أول بيت بنى لعبادة الله تعالى ولهذا ينسب اليه جل وعلا فيقال بيت الله المحرم . وقد شرفه الله على سائر البقاع وجعله حرما آمنا يلجأ اليه كل عائذ ويأمن فيه كل خائف وحرم فيه القتال والصيد وايذاء الحيوان والطيور حتى ان الرجل ليقابل قاتل أخيه أو أبيه ولا يطالب بثأره فيه . وجعله محترما مهيبا فى قلوب الناس من عرب وعجم موحدين ومشركين . اشتهر أمر البيت الحرام بين العرب فى الجاهلية وحجوه آلافا من السنين وتولى الله حمايته وحفظه . قام أبرهة الاشرم قائد جيش الحبشة وكان قد استولى على اليمن وبنى كنيسة بصنعاء وأراد تحويل حج العرب اليها فلم ينجح فأراد أن يهدم الكعبة ليمتنع العرب من الحج اليها فتوجه بجيش جرار الى مكة واستصحب معه فيلا أو فيلة زيادة فى الارهاب حتى قرب من مكة فأرسل الى أهلها يخبرهم انه لم يأت لحربهم وانما أتى لهدم البيت ففزعوا منه وفروا الى قمم الجبال ينتظرون ما الله فاعل بمن يعتدى على بيته ، فأرسل الله عليه وعلى

جيشه طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . فانظر كيف حفظ الله بيته ورد كيد الجبارين المعتدين فى نحورهم وانتقم منهم شر انتقام . هذا البيت العتيق الذى حماه الله من كل من قصده بسوء قد جعله الله قبلة صلاتنا وفرض حجه على المستطيع منا قال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

(فرض الحج ووقته)

فرض الحج مرة واحدة فى العمر على المسلم الحر البالغ العاقل الصحيح اذا أمن الطريق وكان قادرا على الزاد والراحلة وعلى نفقة ذهابه وايابه وعياله الى مابعد عودته بزمن يمكنه أن يكتسب فيه مايحتاج اليه بشرط أن تكون هذه النفقة فاضلة عن ديونه وعن حوائجه الاصلية ومنها رأس مال حرفته

ووقته شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة

(كيفية الحج)

متى وصل الحاج الى محل احرامه ١ فانه يتوضأ أو يغتسل ويتجرد من ثيابه ويلبس ازارا ورداء جديدين ويتطيب ويقص أظفاره ويصلى ركعتين ثم يقول ناويا الحج لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك .

---

(١) محل الاحرام لاهل مصر والشام والمغرب (جحفة) وهو مكان بينه وبين مكة ثلاث مراحل

وبعد هذا يقال له محرم : يحرم عليه أشياء منها الطيب . والزينة ومجادلة غيره . والتفاخر عليه . والتعرض لصيد البر . وايذاؤه بقتل أو اشارة أو تنفير . وستر الرأس أو الوجه . ولبس المحيط لبسا معتادا . وقص الاظفار وازالة الشعر — ويندب له الاكثار من التلبية عقب الصلوات وعقب الاسحار وعند تغير الاحوال من صعود وهبوط ونحوهما — فاذا وصل مكة دخلها ملبيا وبعد أمنه على أمتعته يبدأ بالمسجد الحرام فيدخله من باب السلام فاذا شاهد البيت كبر وهلل ثلاثا ثم ابتدأ بطواف القدوم فيستلم الحجر الاسود ابتداء ان استطاع بلا ايذاء أحد ويطوف سبعة أشواط وكلما مر بالحجر الاسود استلمه ان استطاع ويختم الطواف به . ثم يصلي ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم، ثم يخرج بعد ذلك الى الصفا ويصعد عليه مستقبلا البيت مكبرا مهللا مصليا على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم يهبط من الصفا ماشيا نحو المروة مهرولا بين الميلين الاخضرين فيصعد عليه ويفعل كما فعل على الصفا ويسعى بينهما سبعة أشواط فيبدأ بالصفا ويختم بالمروة (وهذا يقال له السعي بين الصفا والمروة وهما جبلان بينهما ٧٦٠ ذراعا تقريبا) وبعد السعي يمكث بمكة محرما الى اليوم الثامن من ذي الحجة ويطوف بالبيت كلما بدا له من غير سعي . وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يخرج الى منى بعد طلوع الشمس ويبيت بها تلك الليلة وفي اليوم التاسع يتوجه من منى الى عرفات بعد طلوع الشمس فيمكث بها الى الزوال وبعد الزوال يذهب الى مسجد نمرة فيسمع من الامام أو نائبه خطبتين يتعلم منهما المناسك ويصلي معه الظهر والعصر بجمعهما جمع تقديم . وبعد الصلاة يذهب الى الموقف بعرفة

فيقف به الى الغروب . وبعد الغروب يذهب الى مزدلفة فاذا وصل اليها جمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير وبات بها تلك الليلة وفى اليوم العاشر يصلى الفجر بغلس ثم يقف بمزدلفة الى أن يسفر الفجر وبعد الوقوف يذهب الى منى فيرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ولا يرمى فى هذا اليوم غيرها . ثم ينصرف الى رحله ويذبح شاة ندبا . ثم يحلق أو يقصر شعره وبعد الحلق أو التقصير حل له كل شئ من محظورات الاحرام الا النساء . ثم يتوجه الى مكة فيطوف بالبيت سبعة أشواط (وهذا يقال له طواف الافاضة) ثم يعود الى منى فيبيت فيها . وفى اليوم الحادى عشر يرمى الجمرات الثلاث بعد الزوال ويبيت بمنى تلك الليلة وفى اليوم الثانى عشر يرمى الجمرات الثلاث أيضا بعد الزوال . ثم بعد هذا له أن يرجع الى مكة قبل طلوع فجر الثالث عشر فان لم يرجع حتى الفجر وجب عليه رمى الجمرات الثلاث فى ذلك اليوم أيضا . ثم يعود الى مكة ومتى أراد أن يعود الى وطنه يطوف طواف الوداع سبعة أشواط حول الكعبة وبهذا تنتهى أعمال الحج

(حكمة الحج وأسراره)

شرع كل دين لتابعيه اجتماعات عديدة لما فيها من الفوائد الدينية والدنيوية فمنها تسهيل طرق التعارف والتآلف والتعاون والتعاضد وتبادل المنافع والتعليم والارشاد ونشر العلوم والفنون . ولهذه الغاية سن الدين الاسلامى صلاة الجماعة لكل صلاة وأوجبها فى صلاة الجمعة كل أسبوع وفى صلاة العيدين . ولما كانت هذه الاجتماعات قاصرة على أهل البلد الواحد أو عليهم وعلى من جاورهم فرض اجتماعا عاما

لكل قادر على حضوره مرة فى حياته . ذلك هو الاجتماع للحج . هناك يجتمع المسلمون ألوفا مؤلفة من جميع البقاع على اختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم خاشعين خاضعين متحابين فى الله تعالى . مجردين عن فاخر اللباس والزينة والرياش . هاجرين أوطانهم ابتغاء مرضاة ربهم لا فرق بين غنى وفقير وسوقة وأمير . بهذا الاجتماع تصفو نفوسهم وتتهذب أخلاقهم وتغرس فى قلوبهم المحبة والالفة ويقف كل على حال أخيه ويرشده الى ماينفعه فى دينه ودنياه . وقد اختار الله لهذا الاجتماع مكة المكرمة لما لها من الفضل على سائر البقاع ففيها البيت الحرام الذى عرفت فضله وفيها اجتمع آدم وحواء وتابا الى الله فقبل توبتهما . وفيها أمر الله ابراهيم بذبح ولده فأطاع أمر ربه وامتثل ولده البار فأنعم الله على الوالد والولد بالفداء وأبدل حزنهما بالهناء . وفيها ولد سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا . وفيها أوذى وقابل الايذاء بالصبر فنصره الله نصرا عزيزا . ومنها هاجر الى المدينة تلك الهجرة التى كانت سببا فى انتشار الدين ورقى الامم الاسلامية وسعادتها السعادة الخالدة

ان اجتماع المسلمين فى هذا المكان الطاهر يذكرهم بما جرى لرسل الله عليهم الصلاة والسلام ويبعث نفوسهم على الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم ـ اما الاعمال التى يؤديها الحجاج هناك فهى مظهر التذلل والخضوع والقدوة بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والرسل قبله ، وبرهان قوى على تمام الامتثال لاوامر الله سبحانه فى كل ماأمر به سواء أظهرت حكمته بادئ بدء أم كان فى حكمته غموض ، وهذا شأن عباد الله المخلصين يعتقدون انه عز وجل

لم يشرع الا مافيه الخير والمصلحة وانه المحيط بكل شئ يعلم من ذلك مالا نعلم . ومثل هؤلاء كما قال الغزالى مثل من وثق بالطبيب وجرب دواءه فوجده نافعا ولكنه لا يعرف فائدة كل جزء ولا نسبته الى الاجزاء الاخرى وحسبه انه يعلم ان هذا الدواء المركب نافع يشفى من المرض باذن الله تعالى

(١٦ — النذر)

النذر هو أن يوجب الانسان على نفسه شيئا لله تعالى من صوم أو صلاة أو صدقة أو غير ذلك من الطاعات بلفظ صريح كأن يقول لله علىّ أن أصلى أربع ركعات أو لله علىّ ان نلت الشهادة الابتدائية مثلا لأتصدقن بكذا . فالاول غير معلق على شئ ويقال له نذر منجز يجب الوفاء به وتصح تأديته بمجرد التلفظ به . والثانى معلق على شئ وهو نيل الشهادة فلا يجب الا عند حصول شرطه ولا يصح تقديمه عليه . ويجب الوفاء بالنذر لقوله تعالى (وليوفوا نذورهم) . وقوله صلى الله عليه وسلم (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه) . ويشترط لوجوب الوفاء به شروط منها (١) أن يكون المنذور عبادة مقصودة لذاتها فان نذر معصية كضرب فلان أو سرقة ماله أو نذر عبادة غير مقصودة لذاتها كالوضوء فلا يجب الوفاء به (٢) أن يكون الناذر مالكا للمنذور فلو نذر ملك غيره لا يصح أو نذر أكثر مما يملك لزمه ما يملكه فقط . والغرض من النذر التزام عبادة لله تعالى كصلاة وصوم وصدقة الى الفقراء والمساكين . ومن هذا تعلم أن النذر للانبياء والاولياء وسائر الاموات وصلحاء

الاحياء حرام و باطل لانه عبادة وهي لاتكون الا لله سبحانه ولان الاموات لايملكون . فما يفعله العوام من نذر الذبائح وذبحها للاولياء أو الانبياء ونذر الشموع والزيوت والاستار للاولياء ليس بنذر شرعى بل قد يكون شركا اذا اعتقد أن النبي او الولى يستحق العبادة أو أنه هو الذى يشفى مريضه او يقضى حاجته . أما اذا قال ان شفى الله مريضى فعلىّ أن أطعم فقراء السيدة زينب مثلا جاز ذلك النذر لانه نذر لله تعالى ، والفقراء مصرفه ، وفى هذه الحالة لايحل للغنى الاخذ منه — هذا ولايتعين على الناذر الوفاء بالنذر فى مكانه أو بالدرهم الذى عينه او على الفقير الذى خصصه ، فلو نذر التصدق بمكة بهذا الجنيه على زيد الفقير فتصدق بجنيه آخر على عمرو الفقير بمصر جاز

(التهذيب)

تهذيب الشئ تنقيته وتخليصه مما يشوبه . ورجل مهذب منقى من العيوب مطهر الاخلاق . هذا النوع من التهذيب يناله الانسان بمخالطة المهذبين ومعاشرتهم والاقتداء باعمالهم الصالحة . وكما يكون بهذه الطريقة يكون بقراءة سير من حسنت أخلاقهم وتهذبت نفوسهم وان ذلك لمن أكبر مايؤثر فى النفس ويبعثها على التشبه بحال هؤلاء ليكون لصاحبها ذكر حسن مثلهم وسيرة ذائعة كما لهم . وان أرقى طرق هذا التهذيب ماجاء فى القرءان الكريم . وانا لذاكرون لك منه طرفا يبعثك على البحث عن باقيه لتهذيبه نفسك واصلاح شأنك وتقويم عوجك والله يتولى هداك

(١ — وصية لقمان لابنه)

قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَاأَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)

(التفسير)

لقمان حكيم من الحكماء ــ يعظه ينصحه ــ وهنا على وهن ضعفا على ضعف ــ فصاله فطامه ــ المصير المرجع ــ أناب رجع

تصعر تمل ـ مرحا فرحا بطرا ـ المختال المعجب بنفسه ـ الفخور كثير الفخر والمباهاة ـ اقصد اعتدل ـ اغضض اخفض

قص الله علينا ماوعظ به لقمان ابنه لنعتبر به ونحذو حذوه فنفوز فى الدنياوالآخرة. فأوصاه أولا بالابتعاد عن الشرك بالله تعالى وقال له انه ظلم عظيم وانما كان الشرك ظلما لانه وضع الشئ فى غير موضعه وكان عظيما لما فيه من التسوية بين من لانعمة الا منه سبحانه ومن لانعمة له أصلا. ثم أوصاه ثانيا بوالديه لانهما سبب وجوده ومصدر حياته وذكره بما لاقته أمه من الآلام المتتابعة آلام الحمل وآلام الطلق وآلام الولادة وآلام النفاس. ثم أمره بشكره تعالى وشكرهماايضا. وشكر الله تعالى يكون بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه . وشكر الوالدين يكون ببرهما وصلتهما. ثم بين له تعالى كيفية سيره معهما فبين له انه يلزمه ان يصاحبهما صحبة يرتضيها الشرع وتقتضيها المروءة كاطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وكعيادتهما اذا مرضا ومواراتهما اذا ماتا اما اذا ألجئاه الى الاشراك به تعالى فلا يطيعهما فى ذلك. ثم بين له تعالى انه لايخفى عليه خافية فالخصلة من الاساءة والاحسان ان تكن مع كونها فى أقصى ما يمكن من الصغر فى أخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى يحاسب عليها. وهذا تمثيل الغرض منه بيان ان الله يحاسب على النقير والقطمير والفتيل وانه لايخفى عليه خافية

وبعد أن أمره بالتوحيد الذى هو أول واجب على المكلف وأوصاه بوالديه خيرا ونبهه الى كمال علمه وقدرته عزوجل أمره باقامة

الصلاة لتكميله بالعمل بعد تكميله بالاعتقاد . ومعنى اقامة الصلاة الاتيان بها على أكمل حالاتها . ثم أمره بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لان من يأمر الناس بعمل الطيبات وترك الموبقات تأنف نفسه ان يراه أحد متصفا بها . وهذا سر عظيم من أسرار التربية . ولان فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ارشادا للناس الى ما يصلح شئونهم ويسعدهم فى الدنيا والآخرة

ثم أمره بالصبر لان الانسان فى هذه الحياة عرضة للمصائب ولا سيما من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فانه لا بد أن يناله من الاذى شئ كثير لا يتحمله الا أهل العزائم القوية والهمم العالية ثم أوصاه بأشياء أخرى منها انه لا يميل خده عن الناس ولا يوليهم صفحة وجهه كما يفعل المتكبرون — ومنها انه لا يمشى فى الارض مرحا بطرا ومنها ان يعتدل فى مشيه ويتوسط فيه بين الدبيب والاسراع فان سرعة المشى بدون موجب شرعى تذهب بهاء المؤمن وتورثه حقارة فى أعين الناس لانها تدل على الخفة والطيش

ومنها خفض الصوت والحكمة فى ذلك انه أوقر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه

(الكبر)

الكبر أساس كل شر ومنبع كل ضير يكسب المقت ويوغر صدور الاخوان ويخفى الاعمال المبرورة ويظهر المساوى المستورة ويعمى صاحبه عن اتباع سبيل الحق ويغريه بارتكاب الباطل ويصرف الناس عنه وناهيك بما يترتب على ذلك من تعطيل مصالحه

وضياع ثروته ووقوف دولاب حركته فيضيق رزقه ويقل ماله وتسوء حاله . لاتجد أحدا يعظم المتكبر ويحترمه عن رغبة واخلاص بل كل الناس يهزءون به ويسخرون منه ويحتقرونه . والسر فى ذلك أن النفوس خلقت حرة تكره الذل وتأبى الضيم . ولما كان المتكبر يروم بكبره احتقارها واذلالها انبعثت الى مقاومته وعمدت الى اذلاله وازدرائه مقابلة بالمثل وخوفا من التغلب عليها وذلك أمر طبيعى

رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة * اذا كان منسوبا الى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبر همة * فانى رأيت العجب من صغر القدر

لم ذم الله ابليس ذلك الذم الشديد وطرده من رحمته الم يكن ذلك لابائه واستكباره (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر) — لم امتنع عظماء قريش من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم . والاهتداء بهديه . والامتثال لأمره ألم يكن ذلك للكبر الذى ملأ نفوسهم حتى قالوا (لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم) فكان نصيبهم الحرمان من السعادة فى الدنيا والآخرة

ما الذى حمل جبلة بن الأيهم ومن معه على الارتداد ومفارقة جماعة المسلمين ألم يكن الكبر هو السبب فى ذلك : كان جبلة يطوف بالبيت اذ وطئ ازاره رجل من بنى فزارة فانحل . فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزارى فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه . فبعث الى جبلة فأتاه . فقال ما هذا؟ قال نعم ياأمير المؤمنين انه تعمد حل ازارى ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف . فقال له عمر قد أقررت . فاما أن ترضى الرجل . واما أن أقيده منك . فلما رأى جبلة الصدق من عمر . قال أنا ناظر فى هذا ليلتى هذه

حتى اذا نام الناس وهدءوا حمل جبلة بخيله ورواحله الى الشام وتحمل فى خمسمائة من قومه فدخل الى هرقل فتنصر هو وقومه وهو الذى يقول بعد ذلك

تنصرت الاشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لوصبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... رجعت الى القول الذى قال لى عمر
وياليتنى أرعى المخاض بدمنة ... وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
وياليت لى بالشام أدنى معيشة ... اجالس قومى ذاهب السمع والبصر

وكان عمارة بن حمزة متكبرا جدا حتى انه كان اذا أخطأ لا يرجع ويقول نقض وابرام فى ساعة الموت أهون من هذا — دخل مرة ذلك المتكبر على المهدى فلما استقر به مجلسه قام رجل كان المهدى قد أعده ليتهكم به فقال (مظلوم يا أمير المؤمنين) قال من ظلمك قال عمارة هذا غصبنى ضيعتى وسماها وكانت من أجود ضياع عمارة فقال المهدى قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ما هو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفنى به أمير المؤمنين . فلما خرج الرجل وانفض المجلس سئل عمارة عن صفة خصمه وما كان لباسه واين كان موضع جلوسه فلم يعلم شيئا من ذلك لانه لشدة تكبره لم ينظر الى الرجل ولم يعلم مكانه وقت الخصومة . فانظر كيف كان الكبر سببا فى الاحتقار وضياع الاموال . اذا تتبعت الاسباب التى ينشأ عنها الكبر وجدت من أهمها المال والجاه والحسب والنسب ومخالطة غير الاكفاء والعلم الذى لا يقصد به الفضيلة . لو كانت مضار الكبر قاصرة على المتكبر لسهل الامر ولهان الخطب

ولكن كبر الرؤساء يقتل الفضائل فى نفوس المرءوسين . وكبر الرجل على أولاده وزوجه يميت نفوسهم ويعوّدهم الاستكانة والخضوع . وكبر المعلم على تلاميذه يزهق روح استقلالهم ويذهب بحريتهم ويضعف مواهبهم ولا يجعلهم كبار النفوس كبار الهمم

(٢ — البر)

قال الله تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)

(التفسير)

البر الطاعة والخير والتوسع فى الاحسان ــ ذوو القربى الاقارب ــ ابن السبيل المنقطع في السفر ــ الرقاب جمع رقبة ــ البأساء الشدة والفقر ــ الضراء ما يضر الانسان من مرض أو فقد محبوب ــ البأس اشتداد الحرب

بين الله تعالى فى هـذه الآية أنواع البر. فأولها الايمان بالله تعالى وابتدئ به لانه أساس كل بر ومبدأ كل خير ولا يكون الايمان أصلا للبر الا اذا كان متمكنا من النفس بالبرهان مصحوبا بالخضوع والاذعان ومن علامات الايمان الكامل أن يكون الله ورسوله أحب الى المؤمن من كل شئ ويؤثر أمرهما على كل شئ . ومنها أن تكون غيرته على الدين أشد من غيرته على نفسه وماله وأهله فاذا أصيب الدين بمصيبة كانت تلك المصيبة أشد عليه من مصيبته فى نفسه وماله وولده وكان انبعاثه لتلافيها أعظم من انبعاثه لدفع الاذى عن نفسه . ومنها انه اذا عرضت له دواعى الشر وأسبابه حال الايمان دونها فاذا نسى وأصاب الذنب بادر الى التوبة والانابة ـ وثانيها الايمان باليوم الآخر أى يوم القيامة وهو أن يعلم الانسان ان له حياة أخرى فى عالم آخر وحينئذ فلا يرضى لنفسه أن يكون كل سعيه وعمله لاجل خدمة هـذا الجسم خاصة فان ذلك يجعله لا يبالى الا الامور البهيمية بل يلزمه ان يعمل أعمالا صالحة يدخرها لذلك اليوم العظيم . وان من أنكر اليوم الآخر كان أكبر همه لذات الدنيا وشهواتها وحظوظها وتلك أصل شقاء الدنيا قبل شقاء الآخرة وثالثها الايمان بالملائكة. والسر فى وجوب الايمان بهم انهـم أصل للايمان بالوحى لان منهم الروح الامين الذى كان يفيض العلم على النبى صلى الله عليه وسلم بما هو موضوع الدين (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) فيلزم من انكار الملائكة انكار الوحى والنبوة وذلك يستلزم انكار اليوم الآخر ـ ورابعها الايمان بالكتب السماوية وهى الكتب المنزلة من الله تعالى على رسله كالقرءان والتوراة والانجيل فيجب علينا أن نعتقد

انها جاءت وانها من عند الله تعالى كما انه يجب على كل مؤمن أن يعمل بما في كتابه من الارشادات التى توصله الى السعادة فى الدنيا والآخرة . وان كثيرا ممن يدعون الايمان بالكتاب قد أعرضوا عن أمره ونهيه وان عملوا بشئ منه كانت أعمالهم رسوما خالية من أرواحها الحقيقية وإثم هذه الاعمال أكبر من نفعها — وخامسها الايمان بالنبيين وتمامه يقتضى الاهتداء بهديهم والتأدب بآدابهم ويتوقف هذا على معرفة سيرهم والعلم بسننهم فانه لا معنى للاقتداء بشخص الا الاستقامة على طريقه.

ثم ذكر الله تعالى بعد بيان أصول الايمان نوعا آخر من أنواع البر وهو أصول الاعمال الصالحة التى هى ثمرة الايمان فمن أصول الاعمال الصالحة ان يعطى الانسان المال مع حبه له . وهذا الاعطاء لا يشترط فيه نصاب معين بل هو على حسب الاستطاعة فمن كان لا يملك الا رغيفا ورأى مضطرا اليه وهو مستغن عنه بان لم يكن محتاجا اليه لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته يحتم البر عليه بذله . وليس المضطر وحده هو الذى يعطى بل يلزم الغنى ان يعطى أصحاب القرابة منه اذ من المغروز فى الفطر الانسانية ان المرء يألم لفاقة ذوى رحمه أكثر مما يألم لفاقة غيرهم فانه يهون بهوانهم ويعز بعزهم ولانه اذا احتاج وفى أقاربه غنى فان نفسه تتوجه اليهم لعاطفة الرحم ومن كان أقرب رحما كان حقه آكد وصلته أفضل فمن رضى بأن ينعم وذوو قرباه بائسون فهو برىء من الفطرة والدين بعيد من البر والخير — وكذلك يلزمه أن يعطى (اليتامى) فانهم لموت كافلهم تتعلق كفالتهم وكفايتهم بأهل اليسار حتى لا تسوء حالهم وتفسد تربيتهم ويكونوا مضارا على أنفسهم وعلى الناس — وممن يتحتم عليه اعطاؤهم (المساكين) فانه لما قعد بهم

العجز عن كسب مايكفيهم وسكنت نفوسهم للرضا بالقليل وجبت مساعدتهم على المستطيع ـ ومن هؤلاء أيضا (ابن السبيل) وهو المنقطع فى السفر لا يتصل بأهل ولا قرابة حتى كأن السبيل وهو الطريق أبوه وأمه ورحمه وأهله . وفى الامر بمواساته ترغيب من الشرع فى السياحة والضرب فى الارض ـ وكذلك يتحتم اعطاء (السائلين) وهم الذين تدفعهم الحاجة العارضة الى تكفف الناس . والسؤال محرم شرعا الا لضرورة يجب على السائل أن لا يتعداها ـ ومثل اعطاء من تقدم اعطاء المال لتحرير الرقاب وعتقها وهذا يشمل شراء الارقاء وعتقهم واعانة المكاتبين على تأدية نجومهم ومساعدة الاسرى على الافتداء . وفى جعل هذا النوع من البذل حقا واجبا فى أموال المسلمين دليل على رغبة الشريعة فى فك الرقاب واعتبارها ان الانسان خلق ليكون حرا الا فى أحوال عارضة تقضى المصلحة العامة فيها بأن يكون الاسير رقيقا ومنها اقامة الصلاة وهى الركن الروحانى للبر وليس البر فيها أن يأتى بها الانسان تامة الشروط والاركان فقط بل البر والتقوى فى روحها التى تصدر عنها آثارها كالنهى عن الفحشاء والمنكر واستئصال الخلائق الذميمة والاستعاضة عنها بالصفات الحميدة فان مراقبة الله تعالى فى الصلاة واستشعار عظمته وسلطانه الأعلى فى الركوع والسجود تدفع بالشخص الى الاعتقاد بأن الله غالب على أمره فلا يبالى مالقى من الشدائد فى سبيله وما أنفق من فضله ابتغاء مرضاته تعالى . ومنها ايتاء الزكاة قلما تذكر الصلاة فى القرءان الكريم الا ويقرن بها ايتاء الزكاة ذلك لان الصلاة مهذبة للروح والمال كما يقولون قرين الروح فبذله فى سبيل الحق ركن عظيم من أركان البر وآية من أظهر آيات الايمان وبها اصلاح

العمران ولذلك أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على محاربة مانعى الزكاة .
ثم انتقل سبحانه وتعالى من البر فى الاعمال الى البر فى الاخلاق فذكر منها ماهو أهم أصول البر وهو الوفاء بالعهد والصبر بضروبه المبينة فى الآية

(الوفاء بالعهد)

العهد التزام تطوعت به لا سبيل لك الى البراءة منه الا بالوفاء . انك حين تعد شخصا بأمر فقد بنى على موعدك مصالح كثيرة وان فى خلفك لوعده نقضا لهذه المصالح وليس هذا من الدين ولا من المروءة — انك لتجد من نفسك امتعاضا وفى صدرك ضيقا حينما يعدك عامل أوصانع أو تاجر أو غيرهم بعمل من الاعمال ثم هم لا يوفون بوعدهم — تجلس مع الطبقات المختلفة من الامة فتراها مجمعة على ذم من يخلف الوعد وينقض العهد وربما عدّت ذلك من أكبر مساويه — الوفاء بالعهد من البر لانه يترتب عليه نظام المعيشة كما أن الغدر والاخلاف من الذنوب الهادمة للنظام المفسدة للعمران المفنية للامم وما فقدت أمة الوفاء الذى هو ركن الامانة وقوام الصدق الا حل بها العقاب الالهى — لا يعجل الله الانتقام من أمة من الامم لذنب من الذنوب قد فشا فيها كما يعجل ذلك لذنب الاخلال بالعهد والاخلاف بالوعد — كل أمة استهانت بالايفاء بالعهود ولم تبال ذلك ولم تكترث به ضاعت الثقة بين أفرادها حتى تصير معيشتهم معيشة الافراد لا معيشة الامم : صور متحركة ووحوش مفترسة وذئاب خاطفة كل منهم يتحين الوثوب على الآخر متى وجد لذلك سبيلا . ولذا تراهم اذا عاقد أحدهم الآخر يستوثق منه بكل مايقدر ويحترس من غدره بكل ما يمكن فلا تعاون ولا تناصر ولا تعاضد

ولاتآزر — العهد الذى يجب الوفاء به هو العهد الذى يلتئم مع المصلحة ولا يكون مخالفا لأوامر الله تعالى — يدخل فى العهود ما عاهد المؤمنون عليه الله من السمع والطاعة والاذعان لكل ما جاء به الدين بسبب ايمانهم

اما الصبر فانه يحمد فى هـذه المواطن التى ذكرها الله تعالى وفى غيرها وانما خصت هذه بالذكر لان من صبر فيها كان فى غيرها اصبر لما فى احتمالها من المشقة على النفس والاضطراب فى القلب فان الفقر اذا اشتدت وطأته يضيق له الذرع ويكاد يفضى الى الكفر. والضراء اذا برح فى البدن يضعف الاخلاق حتى يكاد المرء لا يحتمل ما كان يسر به فى حال الصحة فما بالك بالمرض وآلامه وما يطرأ فى اثنائه من الامور التى تسيء النفس — وأما حالة اشتداد الحرب فهى على ما فيها من الشدة والتعرض للهلكة بخوض غمرات المنية يطلب فيها من الصبر ما لا يطلب فى غيرها لان الصبر مقرون بالظفر — وانظر بعد هذا حكم الله تعالى على البررة الذين اتصفوا بكل ما تقدم ذكره من أركان البر بقوله (أولئك الذين صدقوا) فى دعوى الايمان دون الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (وأولئك هم المتقون) الذين تشهد لهم بالتقوى أعمالهم وأحوالهم

(٣ — الاتحاد)

قال الله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

(التفسير)

اعتصموا تمسكوا — حبل الله دينه — شفا حفرة طرفها

ان الأنصار وهم أهل المدينة الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه، كانوا قبل الاسلام متعادين متقاطعين تثور بينهم الحروب لأقل سبب فلما أسلموا وتخلقوا باخلاق الرسول عليه السلام صاروا اخوانا متحدين متحابين فنزلت هذه الآية تحثهم على دوام الالفة والاتحاد وتذكرهم بما كانوا عليه من الشقاق والشحناء فحضهم الله فيها على أن يجتمعوا على التمسك بدينه تعالى والعمل بما فيه من الاوامر والنواهى ولا يتفرقوا عن الحق الذى أمرهم باتباعه ولا يختلفوا ولا يحدثوا مايوجب التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة ولا ينسوا هداية الله وتوفيقه اياهم للاسلام الذى أدّى الى زوال الاحقاد وتأليف قلوبهم بعد ان كانت متفرقة فصاروا اخوانا

متناصرين متحدين ، وكانوا على طرف حفرة من جهنم اذ لم يكن بينهم وبينها الا الموت فنجاهم منها بالاسلام

(الاتحاد قوة والتفرق ضعف)

هذه قاعدة عامة ، وناموس مطرد ، تمثله المحسوسات ، وتثبته المشاهدات : تأمل خيط القطن الرفيع تراه يقطعه الطفل الصغير بلا مشقة ولكن اذا اجتمع عدد عظيم من الخيوط تعذر على أقوى الرجال قطعه . انظر قطرة المطر تنزل من السحاب المرتفع فلا تخدش وجه الأرض ولا تحرك مثقال ذرة من الرمل واذا تجمعت قطرات كثيرة صارت سيلا جارفا يخد الارض ويقتلع الصخور والاشجار . لاحظ أشعة نور الشمس تجد انها تنبعث الينا عن جرمها الملتهب الا انها لتفرقها لا يصل تأثيرها الى درجة الاحراق ولكنها اذا جمعت بواسطة البلورة المعروفة أحرقت ما يمسها . ولا يعزب عن فكرك حكاية العربى الذى جمع أولاده حينما قربت وفاته وطلب رماحهم وربطها حزمة واحدة وأمرهم واحدا بعد واحد بكسرها فعجزوا ثم فرقها عليهم فكسر كل واحد رمحه من غير تعب ولا مشقة وعند ذلك قال لهم :

كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى * خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا * واذا افترقن تكسرت أفرادا

وهاهى الشركات والجمعيات الخيرية المفيدة أمامكم لم تؤلف الا بواسطة الاتحاد والاجتماع ولو حاولها فرد لعجز عن ايجادها مهما أوتى من القوة الجسمية أو المالية أو العقلية . اقرأ تاريخ اى أمة من الأمم تجد الاتحاد والوفاق من أهم أسباب رقيها والتقاطع والشقاق

من دواعى تأخرها وسقوطها. وتأمل الاسرة التى تم الوفاق بين أفرادها تجدها آمنة مطمئنة حافظة مجدها القديم، سائرة فى طريق العز والغنى بينما تجد نظيرتها التى سرى فى أفرادها سم التفرق وفتكت بها جراثيم الشقاق قد خيمت عليها عناكب الفقر وأحاط بها الذل والهوان فذهب ريحها وتغلب عليها أضعف أعدائها . وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتحاد بأعظم مثال فقال (مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وفى الاثر (يد الله مع الجماعة) يعنى ان الله تعالى يساعد المتحدين ويمدهم بمعونته ويؤيدهم بنصره . فالاتحاد أمر يدعو اليه الدين، ويوجبه العقل، ويؤيده التاريخ ، لم توفق اليه أمة ولا أسرة ولا جماعة الا علا شانها وعز سلطانها وأمنت غوائل الدهر وطوارئ الايام

(٤ — الاقتصاد)

قال الله تعالى (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)

(التفسير)

ذو القربى الاقارب ـ التبذير انفاق المال في غير وجوهه الشرعيه ابتغاء طلب ـ ميسورا سهلا لينا ـ مغلولة مربوطة معلقة محسورا منقطعا لاشئ عندك

أمرنا الله تعالى فى هذه الآيات بصلة أرحامنا . والانفاق على من تلزمنا نفقته منهم ، وبايتاء الزكاة . ونهانا عن صرف المال فى غير محله مشبها المبذرين بالشياطين : فكما أن الشيطان جاحد نعمة ربه لا يؤدى الشكر عليها فكذلك المبذر جاحد النعم أيضا لأنه لم يؤد شكرها اذ شكرها انفاقها فى مواضعها المشروعة ثم علمنا سبحانه وتعالى اننا اذا سئلنا شيئا ليس عندنا أن نرد السائل ردا جميلا ونلين له القول رحمة به وتطييبا لخاطره كما بين لنا مايجب ان نفعله بما لنا فيجب علينا ان لا نبخل به ولا نبذر فيه فاننا ان قترنا وبخلنا كنا ملومين وان أسرفنا وبذرنا صرنا فقراء معدمين . بل يلزمنا ان نتوسط فى انفاقنا ونقتصد فى مالنا فخير الأمور الوسط

بين تبذير وبخل رتبة * وكلا هذين ان زاد قتل

وقد مدح الله المقتصدين وجعلهم عباده فقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) الى ان قال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

(فوائد الاقتصاد)

الاقتصاد هو التوسط فى الانفاق . بحيث لا يبسط الانسان يده كل البسط حتى لا يبقى فيها شيئا . ولا يقبضها كل القبض حتى لا يخرج منها شيئا بل ينفق على حسب حاله يقدّم الأهم على المهم ويحفظ شيئا من كسبه يعدّه للعوارض التى قلما ينجو منها أحد كالامراض والعجز عن الكسب .

اذا توسط الانسان فى الانفاق حاز فضيلة الاقتصاد وكان فى مأمن من الفقر وطوارئ الزمان ففى الحديث مامعناه (الاقتصاد نصف المعيشة) ومن الحكم (من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر) — اذا كان القيام بمطالب الحياة من ملبس ومسكن وطعام وشراب وصحة وتربية أولاد يعد من ملاذ الحياة فالدرهم سبيله ، واذا كان الهواء الجيد والقصور المشيدة والجياد المطهمة خيرات فالدرهم واسطة نيلها ، واذا كانت الشهادات العالية والمناصب الرفيعة والعلوم النافعة داعية الفوز والسعادة فالدرهم سلمها ، واذا كان انشاء المستشفيات وتشييد المدارس وملاجئ العجزة مما يخلد للانسان أحسن الذكر فالدرهم هو الذى شادها وأسسها — هذا وان الاقتصاد ممكن بالتعود لكل انسان أيا كان عمله وكيفما قل ايراده

اذا اعتاد التلميذ مثلا أن يقتصد كل يوم او كل شهر من مصرفه جزءا قليلا تكوّن من ذلك بعد شهور مقدار عظيم من النقود وذاق طعم التدبير وصار الاقتصاد له عادة (والانسان ابن عادته)

وللاقتصاد طرق ينبغى معرفتها

(طرق الاقتصاد)

عني كثير من الناس بدراسة فن الاقتصاد . ووضعوا فيه كتبا عدة وسلكوا كل طريق لنشر تلك الفضيلة بين العالم وغرسها في عقول الاطفال ليشبوا عليها (ومن شب على شئ شاب عليه)

وينشأ ناشئ الفتيان فينا * على ما كان عوّده أبوه

وأهم هذه الطرق (١) اتقان العمل وتأديته في وقته على الوجه الذي ينبغي (٢) ان تجعل مصرفك أقل من مكسبك . قال بعض علماء الاقتصاد (اذا كان دخلك ٥٠٠ قرش فانفقت منها ٤٩٩ قرشا فقد كسبت الراحة واذا أنفقت ٥٠١ فقد جلبت على نفسك الشقاء) (٣) أن تنفق على قدر منزلتك بين الناس وتدخر مازاد فانك لا تدري مقدار ما يطلبه منك المستقبل . واذا نقص دخلك عن نفقاتك فخير لك ان تغير حالة معيشتك (٤) أن تشتري ما تحتاج اليه لا ما تشتهيه فان الانسان يشتهي كثيرا ويحتاج قليلا (٥) أن لا تستدين الا لضرورة ، واعتبر انك لا تملك من النقود الا ما في يدك وان الذي سيجيء ليس لك مادام في قبضة غيرك ، ولاحظ أن ما تشتريه نسيئة أغلى مما تنقد ثمنه فان التجار يضيفون الى الثمن جزءا مقابل تأخره . وقد ضاعت ثروة كثيرين لمخالفة هذه القاعدة اذ كانوا يحسبون ماسيرد اليهم في السنين المقبلة زائدا عن حقيقته أضعافا ويأخذون من المصارف(١) أموالا طائلة ينفقونها في البذخ والتظاهر مقدرين سدادها من ايرادهم ، حتى اذا ماجاء ميعاد دفعها عجزوا عن سدادها فانتزعت منهم أملاكهم وأصبحوا خدما بعد ان كانوا سادة (٦) أن تتأمل ماتشتريه وتلاحظ متانته وجودته حتى يكون انتفاعك به على قدر ماتدفعه فيه من الثمن

---

(١) البنوك

(٧) أن تقيد فى دفتر خاص دخلك وخرجك لتعلم مالك وماعليك فلا تقع فى ورطة الدين

هذا وقد انحرف كثير من الناس عن جادّة الاقتصاد فمال بعضهم الى جانب البخل والتقتير ومال آخرون الى جانب الاسراف والتبذير . أما القسم الاول فانهم يصرفون جميع أوقاتهم فى الاخذ بأنواع الحيل لتحصيل الدرهم والدينار ويقصرون فى حقوق الله تعالى وفى حقوق أنفسهم ومن تلزمهم نفقتهم وهؤلاء هم والفقراء سواء

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى صنع الفقر

بل هم أتعس حالا منهم فان الفقراء يمنعهم عوزهم عن قضاء حوائجهم وهؤلاء لا يمنعهم مانع اللهم الا التلذذ الوهمى بأن عندهم نقوداهم فى الحقيقة عليها محاسبون، وعلى حراستها وتوريثها لغيرهم عاملون . وأما القسم الثانى فهم أكثر عددا وأكبر ضررا وأكثر اسرافهم فى الملاهى والتظاهر ولا سيما الافراح وجهاز العرائس والمآتم وقلما تلبث ثروة الواحد منهم عد الاصابع من السنين حتى تصبح أثرا بعد عين

(الاسراف فى جهاز العروس ومهرها)

من العادات السيئة عادة الاسراف فى الجهاز للعروس ، تلك العادة التى انتشرت فى بلادنا فكانت عاقبتها من أشنع العواقب : ضرر بين وفقر حاضر وخراب عاجل ــ قالوا لا بد للعروس أن تصحب جهازا فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين سواء أكان ذلك سيستعمل فى بيت زوجها أم لا ويلزم أن يكون فى ذلك الجهاز من الحلى ما غلا ثمنه وخف

محمله . ومن الثياب ماعلت قيمته ولان ملمسه وتعددت أشكاله وتنوعت أصنافه وأزياؤه مما يكفي العروس السنين الطوال . نرى والد العروس يأخذ مهرها ويضيف اليه ماأمكنه من المال ويشرع في جمع ذلك الجهاز من كل فج حتى اذا فرغ مافي يده استدان وتناول أموال الناس خوفا من كلام النساء ومحافظة على عرضه من أقوال اخوانه . يستمر في الاستدانة وتستمر النساء في الطلب فما ينتهي الجهاز الا وقد أحاط بممتلكاته ان كان غنيا ـ تذهب العروس الى زوجها ويبقى والدها يقاسي مضض الدين وآلامه . وكم من رجال ذهب شرفهم وانحط قدرهم بسبب الجهاز . وقد شوهد أن بعض متوسطي الثروة أصبح بسبب تجهيز بنته فقيرا وبات وعلى عاتقه من الديون أثقال يئن تحت عبئها ومعظم الجهاز فني وتبدد وما بقي منه فقلما يستعمل . بل شوهد أن بعض الموسرين أصبح بتجهيز عدة بنات مدينا بعد ان كان دائنا ومعسرا بعدان كان موسرا ـ ومن اضرار ذلك الجهاز انه كما يكلف الوالد تلك التكاليف الجسيمة يلزم الزوج بالمهر الفادح فان والد الزوجة يجعل دائما نصب عينه الجهاز الفخم وهذا يستدعي المغالاة في المهر ليستعين به وكثيرا مايكون الزوج عاجزا عن المهر المطلوب ولكن الحاح والد العروس وعزمه الاكيد يلجئانه الى أن يبذل جميع ماتملكه يده فيصبح فقيرا معدما أو مدينا ذليلا ويبتدئ حياته الجديدة بالهم الدائم والشقاء المستمر . في الحديث الشريف مامعناه (أقلهن صداقا أكثرهن بركة) ـ لا نرى عذرا لوالد الزوجة في زيادة المهر سوى أن يقول ان هذا القدر من المهر زهيد جدا لأني سأعد جهازا كاملا وسأضيف اليه من مالي أضعافه . بهذا

العذر القبيح قد خالف سنن الشرع الشريف ورضى بشؤم ابنته وبضرر زوجها بل بضرر نفسه ، وياليت هذا الانفاق كان فى شئ نافع للعروسين بل ان الجهاز فى زمننا هذا صار من الامور الصورية التى تمتع بها الانظار ولا تستعمل فى مرافق الحياة . وقد أدرك ذلك بعض العقلاء فخففوا المهور واقتصروا على الضرورى من الجهاز فعسى أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم فتحسن الحال وتحفظ الثروة وتعيش الازواج مع أزواجهم فى هناء ورغد عيش

(الاسراف فى احتفالات الاعراس)

ومن الاسراف مايعمل فى احتفالات الاعراس فى زماننا هذا ، ذلك لان المحتفل يدعو عددا عظيما من اخوانه وأحبابه ويعدّ لهم من الطعام أصنافا عدة ومن الحلوى أنواعا شتى مما يكلفه نفقات كثيرة ويثقل كاهله بالدين . ومن الغريب أن الناس الآن صاروا يدعون أهل الوجاهة والقدر وان كانوا لايعرفونهم طلبا للفخر والشهرة . ولو وقف الامر عندهذا الحد لسهل احتماله ولكننا نراهم يزيدون فى الطين بلة وفى الطنبور نغمة فيحضرون المغنين للرجال والمغنيات للنساء ولا تسل عما يستدعيه ذلك من النفقات الطائلة وناهيك بما يكون فى جمعية النساء من التبذير والاسراف : ثياب جديدة متنوعة الازياء والاصناف ، أموال تدفع للمغنيات ومن على شاكلتهن ممن وظيفتهن جلاء العروس ، تنافس فى الانفاق ، الى غير ذلك مما يفقرن به أزواجهن ويحملنهم مالا يطيقون فلا يلبث ذلك الفرح أن يكون غما على أقارب الزوجين وخرابا عاجلا . ولا تنس مايكتسبنه من الصفات الذميمة

والاخلاق السافلة والالفاظ البذيئة التى تكون عادة فى أمثال تلك المحافل. نعم ان دعوة العرس والاحتفال به من سنن الشرع الشريف والحكمة فى هذا ثبوت النسب وشهرته لدى الناس . وقد أبيح الضرب بالدف فى العرس لائتناس العروس وتسكين روعها، ولكن ينبغى أن يكون على وجه يلتئم مع المصلحة ولا يخرج عن حدود الشريعة فيكفى أن يدعو صاحب الوليمة بعض أقارب الزوجين وبعض خواصه وعددا من الفقراء فانهم عيال الله. والرأفة بهم تستدعى رحمته تعالى، وأن يكون ذلك الاجتماع بعيدا عن الملاهى والمعاصى وعن الاسراف والتبذير . وقد أخذت والحمد لله هذه العادات القبيحة فى الاضمحلال بين الطبقات الراقية. فان العقلاء منهم صاروا يقتصرون على اجتماع أهل العروسين وبعض أقاربهم فحفظوا بذلك أموالهم من الضياع واعراضهم من الثلم وأحيوا الشرع الشريف ونبهوا الناس الى مافيه مصلحتهم فجزاهم الله عن الدين خير الجزاء

(الاسراف فى المآتم)

من العاذات التى تخالف الشرع وتنافى قوانين الاقتصاد ماينفق الآن على الميت فى تجهيزه وتشييعه ومأتمه وزخرفة قبره وأمثال ذلك مما لا يفيد الميت شيئاً ويعود بالخسارة على أهله ـ يموت الميت فتثور فى أفكار أهله حمية المفاخرة والمناظرة فيأخذون فى المغالاة فى الكفن ويجلبون منه ماغلا ثمنه ودقت صنعته مما كانوا يضنون به عليه أيام حياته ، ويتسلون بقولهم ذهب الغالى فلا أسف على الرخيص .

تلك حجة واهية ، نعم يقال مثل ذلك اذا ذهب شيئان غال ورخيص قسرا عنا أما اذا ذهب الغالى جبرا فليس من الصواب والحكمة أن نذهب نحن شيئا آخر غاليا كان أو رخيصا اذ بذلك نكون قد ضاعفنا البلوى ، بل الصواب والحكمة أنه اذا أصيب الانسان بأمر يلزمه أن يحترس من المصيبة بغيره لئلا تتجمع المصائب فيزداد ايلامها ـ السنة فى الكفن أن يكون من ثياب القطن البيضاء فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كفن فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية ١ من كرسف ٢ ليس فيها قميص ولا عمامة) والأولى بأهل الميت الاعتبار بميتهم : فقد كان ناطقا، فصمت ومتحركا فسكن. ومتصرفا فأصبح مكفوف اليد، ومطلقا فأمسى سجينا ، وفى جماعة فبات وحيدا . ان التدبير فى ذلك يؤدى الى اتباع الشرع ونبذ التفاخر والاسراف ظهريا ـ لا تسل عن المطاعم والنفقات التى تنفق فى ليالى المأتم وما يتبعها كليلة الاربعين فانها كثيرا ماتكون سببا فى الفقر المدقع فان الناس يتكلفون صنع الاطعمة الفاخرة التى لم يعتادوا اكلها ويهتمون باتقانها ولو أدى ذلك الى الاستدانة . وأعجب من ذلك كله أنهم يعملون مايعملون زاعمين أن ذلك صدقة يصل ثوابها الى الميت مع انك لاتجد هذه الاطعمة الا فى بطون الاغنياء . أما الفقراء فيلحون فى الطلب ويلحفون فى المسألة فيكون نصيبهم الحرمان والضرب وان أعطوا شيئا فمن الفضل والبقية ـ لانعلم سببا لانفاق هذه الاموال الباهظة فى هذا

(١) السحل ثوب لايبرم غزله ـ أو ثوب أبيض أو من القطن
(٢) الكرسف ـ القطن

السبيل وتحمل الاثقال التى لاداعى اليها الا شيوع تلك العادة السيئة — أهل الميت محزونون مضطرون فى صورة مختارين فلا يحملهم على ذلك الا ماألفوا وما شاهدوا . ليس الاسف الشديد على الاغنياء الذين ينفقون بلا دين ولكن الاسف كل الاسف على الفقراء الذين لا يقدرون على هذه النفقات بل هم فى احتياج الى بعض ماينفق فيها . قد تكون هذه النفقات محسوبة من أصل تركة الميت ظنا أنها من جملة تجهيزه الذى هو مقدم على كل شئ حتى على ديونه ووصيته ويكون هناك للميت أيتام فيئول الامر الى انفاق مال اليتيم وأكله ظلما . فليحذر القائمون بأمر المآتم من الوقوع فى هذه الهوة العميقة — ومن أكبر أنواع الاسراف فى بلادنا تشييد المبانى الفخمة على قبر الميت حيث لافائدة منها مع مافيها من الحرمة لتعطيل الاراضى الموقوفة للدفن وحرمان الناس منها وفى ذلك من الضرر مالا يخفى زيادة على مافيه من الاسراف والتبذير وكأنهم قصدوا بذلك أن يختتموا بالتبذير كما افتتحوا به

(٥ — العمل للدارين)

قال الله تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّٰهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

(التفسير)

اطلب الدار الآخرة وانفق ما أعطاك الله من الغنى والثروة والقوة فى أفعال الخير . ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيب الانسان منها الأكل والشرب والمسكن والملبس والمركب والزينة و بلوغ الدرجة التى يهنأ بها عيشه وتلذ حياته والتمتع بجميع الاشياء المباحة من غير سرف ولا تبذير . فالآية نص فى التمتع بالحياة الدنيا متضمنة طلب العمل لان التمتع موقوف عليه وفى الحديث ما معناه (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) . وأحسن الى نفسك والى الخلائق بما تصل اليه قدرتك كاحسان الله اليك بصنوف نعمه، ولا ترتكب معصية يترتب عليها ضرر غيرك ولا تتسبب ولا تساعد ولا ترض عمن يرتكبها . ان الله لا يحب المفسدين . ومحبة الله للانسان الانعام عليه بنعمة لا تطغيه وتقربه من رحمته . والغرض من هذه الآيات الكريمة الحث على العمل النافع دنيويا أو أخرويا وعلى الاحسان وتجنب الاذى وهذه الاصول الثلاثة من دعائم العمران ومقوّمات الدين والمدنية معا

(العمل الصالح)

العمل الصالح ليس قاصرا على العبادات بل يشمل جميع الاعمال التى فيها منفعة للعامل ولغيره ـ مدحت جميع الشرائع العمل النافع وحثت عليه لانه من ضروريات الحياة ؛ لولاه ما حصلت على القوت ولا قويت على عبادة الله تعالى ، لولاه ما وجدت ثوبا تلبسه ولا مسكنا تأوى اليه

ولا طريقا نسلكه . ولا قنطرة تعبر عليها نهرا . ولا قطارا تخترق به الفيافي والقفار . تأمل كل شئ يحيط بك تجده من نتائج العمل وثمراته . فالعمل روح الحياة وأساس العمران

وما الحياة بأنفاس ترددها * ان الحياة حياة العلم والعمل

لاثمرة للعلم ان لم يكن وسيلة الى العمل . العاملون هم الذين شادوا صروح المدنية ورفعوا شأن الانسانية فأحسنوا الى أنفسهم والى بلادهم والى الناس أجمع . أولئك الذين يخلد لهم التاريخ الذكر الحسن والاثر الجميل

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

أما الخاملون الذين قالوا .

ان البطالة والكسل * أحلى مذاقا من عسل

وركنوا الى الراحة . فانهم عالة على غيرهم : ترى منهم المريض الذى لا يرجى برؤه . والمعدم الذى أحاط به الفقر والذل . والسجين الذى تألمت منه النفوس الطاهرة ـ وقد نصت الشريعة الاسلامية على أن أفضل الرزق ما اكتسبه الانسان بكده وعمله ففي الحديث (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) . وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فى العبادة والقوة على العمل فقال بعض الحاضرين صحبناه فى سفر فما رأينا بعدك يارسول الله أعبد منه : كان لا ينفتل من صلاة ولا يفطر من صيام قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يمونه ويقوم به قالوا كلنا قال كلكم أعبد منه ـ وقال أبو سليمان الدارى ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ

برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد - وكما ان العمل فضيلة فالفراغ رذيلة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لأرى الرجل فيعجبنى حتى اذا قيل ليس له حرفة سقط من عيني وقال (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض)

(وسائل نجاح العمل)

يود كل انسان أن يجنى ثمار عمله ولكن (ما كل مايتمنى المرء يدركه) . فقد يخطئ طريق النجاح فلا يحصل من عمله على النتيجة التى كان ينتظرها أو لا يحصل على نتيجة أصلا . ذلك لفقد شرط من الشروط التى يجب على العامل ملاحظتها وهى كثيرة . منها

(١) تدبر العمل قبل الشروع فيه فاذا أنس من نفسه القدرة على اتمامه أقدم عليه بلا تردد

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن تترددا

(٢) الحزم وهو ضبط الرأى فى العمل . فلا تقدم على عمل الا بعد أن تضع له مثالا فى فكرك أو فى أوراقك لتستدل على موضع الخلل الذى قد يعرض أثناء العمل

(٣) المزاولة وكثرة التمرن فان التمرن على الشئ يجعله عادة وتسهل تأديته

(٤) الاجتهاد وبذل الطاقة فبقدر مايبذل الانسان من الجهد والمشقة فى العمل يكون نجاحه

لا يدرك المجد الا سيد فطن * لما يشق على السادات فعال

ولهذا وجب الاهتمام بكل عمل بقدر ما يستحقه لكى يتم فى حينه

وقلّ من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

(٥) الثبات وهو الاستمرار فى العمل والمداومة عليه . فان أكثر الاعمال لا تظهر فائدتها فى أول الامر فيرى من لا ثبات لهم أنها لا تنتج فينقطعون عنها وتذهب أعمالهم الاولى أدراج الرياح ولو استمروا لنجحوا

وفى الحديث (أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل)

(٦) الترتيب والنظام وهو وضع الشئ فى محله واتمام الأمر فى حينه وهو يسهل أصعب الأعمال ويذلل أكبر المصاعب ويحفظ الزمن — ترى أصحاب الأعمال الخطيرة كمديرى المصارف والسكك الحديدية وأصحاب المعامل العظمى وغيرهم من الذين مهروا فى النظام والترتيب يديرون حركات أعمالهم وهم فى مجالسهم فى زمن يسير مع الضبط والدقة . وان تعود الترتيب والنظام فى الاشياء الصغيرة يغرس فى الانسان خلق النظام والترتيب فى كل شئ

(٧) المحافظة على الوقت اذ الوقت كالسيف ان لم تقطعه بالأعمال النافعة قطعك بالأسى والأسف

اذا مرّ بى يوم ولم أتخذ يدا * ولم أستفد علما فما ذاك من عمرى

ولكل يوم من أيام حياتك عمل خاص به فلا تؤخره الى يوم بعده فيجتمع العملان وربما يتعذر تأديتهما كما ينبغى

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل * الى غد إن يوم العاجزين غد

(٦ ـ القيام بالقسط)

قالَ اللهُ تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُن غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)

(التفسير)

قوّام صيغة مبالغة من القيام ـ القسط العدل ـ الهوى ميل النفس
تلووا تحرّفوا ـ تعرضوا تتركوا .

كونوا أيها المؤمنون مواظبين على العدل فى جميع الامور مجتهدين فيه كل الاجتهاد لا يصرفكم عنه صارف، تؤدون شهاداتكم لوجه الله تعالى كما أمرتم باقامتها لا لغرض دنيوى ولوكانت الشهادة على أنفسكم أو والديكم أوأقرب الناس اليكم — كما أنه يلزمكم أن لاتغيروا فيها شفقة على أنفسكم أوخوفا على أقاربكم ان يكن المشهود عليه غنية ترجونه وتخافونه اوفقيرا يستحق الرحمة والعطف . ولايسوغ لكم أن تمتنعوا عن الشهادة طلبا لرضا الغنى أو شفقة على الفقير لان الله تعالى أولى بالنظر اليهما من سائر الناس ولولا ان فى الشهادة مصلحة لهما لما شرعها . فلا تتبعوا هوى أنفسكم وميلها كراهة العدل بين الناس . وان تحرّفوا الشهادة أو تتركوا اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا عالما مطلعا عليكم فيجازيكم على عملكم

أمر سبحانه فى هذه الآية الكريمة الانسان بأن يؤدى الشهادة على وجهها ولا يكتمها ولو ترتب عليها فى الظاهر ضرر لنفسه أو أحد أقاربه لانه سبحانه وتعالى اعلم بمصالح العباد . ونهى عن كتمان الشهادة أو التغيير فيها والعدول عنها . ثم توعد من لم يؤدها كما هى بانه تعالى مطلع على حقيقة أمره فيجازيه بما يستحق

(شهادة الزور)

تحاكم اثنان أمام قاض فادعى أحدهما ان الآخر ضربه واغتصب ماله وأنكر المدعى عليه تلك الدعوى فاحضر المدعى شاهدين شهدا بصحة دعواه فحكم القاضى على المدعى عليه بالسجن و برد المال الى المدعى فالقاضى بنى حكمه ظبعا على الشهادة فان كانت حقا فقد انبنى عليها رد المظالم الى أهلها وعقوبة المعتدى واقامة العدل وعبرة الناس حيث لاقى الجانى جزاء ما يستحق ، وان كانت زورا ترتب عليها عقوبة البرىء واعانة الظالم واعطاء المال لغير مستحقه وتقويض اركان الامن اذ يجرؤ الناس على ارتكاب أنواع الجرائم اتكالا على مثل هذه الشهادة ، والقاضى مضطر الى ان يحكم بها مادامت صحيحة الظاهر — فشهادة الحق تحفظ الحقوق وتساعد على انتشار العدل وتوطيد دعائم الامن وتوقف كل انسان عند حده . ولهذا نهى الله سبحانه عن كتمانها وحكم على كاتمها بالإثم فقال (ومن يكتمها فانه آثم قلبه)

أما شهادة الزور فقد نهى الله تعالى عنها فقال (واجتنبوا قول الزور) وجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعدل الاشراك بالله

وعقوق الوالدين ففى الحديث (الا أنبئكم با كبر الكبائر قلنا بلى قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) ومدح الله الذين لا يشهدونها وسماهم عباده فقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) الى ان قال (والذين لا يشهدون الزور) وذلك لما يترتب عليها من المفاسد والمضار للخاصة والعامة والافراد والامة ـ نحن فى حاجة شديدة الى المعاملة والناس ليسوا سواء من حيث الامانة وعلو النفس وطهارة الذمة فنهم من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما . ولهذا علم الله عباده كيف يحترسون فى معاملاتهم فقال (يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فا كتبوه) وقال « وأشهدوا اذا تبايعتم » فاذا ضاعت الثقة بالشهداء ضاعت الحقوق وقل التعامل وكثرت الجنايات وهناك الطامة الكبرى . لذلك كانت شهادة الزور من أكبر الكبائر كما جاء فى الحديث الشريف .

شهادة الزور تجعل الغنى فقيرا والعزيز ذليلا والبرىء مظلوما شهادة الزور تزعج النفوس المطمئنة وتثير الضغائن الكامنة وتمحق المودات القديمة وتخرب البيوت العامرة وتزيل الامن على الاورواح والاعراض والاموال : ترى الرجل مطمئنا فى بلده متمتعا بأهله وأولاده لم يقترف سيئة ثم لا تلبث ان تراه بعيدا عن اسرته مجردا من أملاكه أو مزجوجا به فى أعماق السجون أو محكوما عليه بالاعدام . كل ذلك بسبب شهادة زور تبرع بها فاسق أوجاد بها ضال ـ ماقبح شهادة الزور كم خربت ديارا ويتمت أطفالا وسلبت أموالا وسفكت

دماء وازهقت نفوسا بريئة وهتكت اعراضا وبرأت جناة وزعزعت أركان أمن وقوضت دعائم مدنية ـ كثيرا مايفتضح أمر شاهد الزور ويتبين تزويره أمام القضاء فيرمى فى السجون ويذوق فيها أنواع العذاب ولئن خفى حاله على الحاكم فليس يخفى على الله ولا على المشهود عليه ولا على أقاربه وأصدقائه الذين ينتهزون الفرص للايقاع به والانتقام منه

فعلينا ان نؤدى الشهادة على وجهها وان نحث عليها بقدر استطاعتنا حتى لا نكون عرضة لعذاب الله تعالى وعقوبة القضاء وانتقام الناس . ولنعلم ان من شهد لنا اليوم سيشهد علينا غدا

(٧ — حسن المعاملة)

المرء قليل بنفسه كثير باخوانه . ذلك لانه لا يمكنه ان يقوم بجميع حاجاته الضرورية . فهو مفتقر لاخوانه مضطر لمعاونتهم له .

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فمن أراد ان يعيش هادئ البال مطمئن الخاطر محبوبا عند اخوانه اذا افتقر مانوه . واذا مرض عادوه . واذا احتاج ساعدوه . يلزمه ان يكون لين الجانب . مخفوض الجناح . حسن المعاملة .

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

اذا اعتدى عليك معتد وسلب حقوقك ثم أمكنك الله منه فجعلت العفو عن العقاب بديلا فقد أحسنت معاملته (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن) .

ان كنت تاجرا وأريت المشتري معايب ما عندك وأرشدته الى الأثمان الحقه ولم تغشه فقد أحسنت معاملته . ان كنت صانعا فاتقنت العمل لمن شغلك ولم تخنه فى شئ ووفيت بوعدك فقد أحسنت المعاملة . ان كنت معلما فارشدت تلاميذك الى الطريقة المثلى ونصحت لهم فى التعليم ولم تضن عليهم بما فيه مصلحتهم فقد أحسنت المعاملة . ان كنت تلميذا فامتثلت أوامر معلميك واشتغلت فى تأدية واجبك على النحو الذى يحبه معلموك فقد أحسنت المعاملة . ان كنت طبيبا فبذلت مافى وسعك فى تخفيف الآلام ومساعدة المرضى فقد أحسنت المعاملة . ان كنت محاميا فقمت بنصفة المظلوم وأنرت الطريق للقاضى ولم تمالئ ظالما على ظلمه فانت حسن المعاملة . ان كنت قاضيا فأيدت العدل وأوضحت طرقه ورفعت مناره وأوصلت الحقوق الى أربابها فأنت حسن المعاملة . ان كنت مستخدما فقمت بعملك على النحو المطلوب منك وأخلصت فى تأديته فأنت حسن المعاملة

وان خلقا هذا شأنه وتلك حاله لجدير بان يبذل الناس مهجهم فى الحصول عليه والوصول اليه ليكونوا ممن رضى الله عنهم وأقبل الناس عليهم

نرى تجارة بعض الناس كاسدة لا يقبل عليها أحد ولا يشتريها وان قل ثمنها وجادت أنواعها ونرى تجارة بعضهم الآخر يقبل عليها الناس اقبالا تاما مع ارتفاع ثمنها وربما كانت أقل من سابقتها فلم هذا : السر فى ذلك ان الاول قد عرف كيف يحسن معاملة الناس ويستجلب مودتهم ويجذب قلوبهم بما يرونه من حسن اخلاقه وجليل أعماله فتراه يعد ولا يخلف ، ينصح ولا يغش ، يهش للناس ويبش ،

يكرم وفادتهم ويوصلهم الى أغراضهم ، مع اللطف فى القول ، والادب فيه ، يغض الطرف عن هفواتهم . ويستر زلاتهم . الى غير ذلك مما يجمع قلوبهم عليه ويحببهم اليه

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم وما يلقاها الا الذين صبروا ومايلقاها الا ذوحظ عظيم)

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
03827335